الفهرس

صحيفة

في السياسة الدولية :

مسألة ناقلات البترول ... ... : الأستاذ أحمد طه السنوسي ٣

خواطر ... ... : الدكتور أحمد أمين بك ٥

في ضوء المصباح :

قلوب ... ... : الدكتور زكي نجيب محمود ٧

مشكلة الحرية ... ... : الأستاذ علي أدهم ٩

أول كفاح بين مصر وإسرائيل :

لوحة إسرائيل ... ... : الأستاذ شحاته آدم محمد ١٢

مراثي الشعراء للرسول عليه السلام ... ... : الأستاذ محمد عبد الغني حسن ١٥

نظرات فلسفية ... ... : الأديب جلال أحمد أمين ١٩

نقد الكتب :

إنصاف المرأة ، تأليف السيدة وداد سكاكيني : الدكتور شوقي ضيف ٢١

بكل أمة :

الأقصة ، للكاتب التشيكي كارل كابك ... : ترجمة الأستاذ محمد فتحي عبد الوهاب ٢٣

من بريد الثقافة :

فنان محزون ... ... : الأستاذ محمد سلامه مصطفى ٢٧

قصائد :

مجنونة ... ... : الأستاذ أحمد محمود عرفة ٢٨

في الأصفاد ... ... : الأستاذ محمد علي مخلوف ٢٩

أشلاء ... ... : الأستاذ محمد سلامه مصطفى ٢٩

أسبوعية الشطرنج ... ... : الأستاذ حسن توفيق فائق ٣١

ثمن العدد ٢ قرشان صاغا

الثقافة

AL-THAQAFA

صاحب الامتياز — الدكتور أحمد أمين بك | الإدارة | رئيس التحرير المسئول — محمد عبد الواحد خلاف بك

١٢ شارع سعد زغلول ، القاهرة ، تليفون ٤٢٣٩٣ — ٥٦٧٦٩

العدد ٦١٥ | الاثنين ٢٧ من ذي الحجة سنة ١٣٦٩ — ٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٠ | السنة الثانية عشرة

في السياسة الدولية :

مسألة ناقلات البترول

للأستاذ أحمد طه السنوسي



لا تزال حالة الحرب قائمة بين [illegible] من تلك الهدنة التي عقدت بينهما [illegible] من جوع . وهذا ما حدا بالحكومة المصرية [illegible] الرقابة على السفن التي تمر بقناة السويس وتمنع ما يكون منها حاملا البترول إلى إسرائيل الدولة المعادية ... ومن هنا قامت مسألة ناقلات البترول التي عرضت ولا تزال تهز كيان الصحافة وكيان البرلمانات والنواب وخاصة برلمان انجلترا ونواب الانجليز ، وتستحوذ على لب الساسة الذين يهمهم الأمر كساسة بريطانيا . وبالتالي تتالت الاحتجاجات وتوالت الملاحظات ، ومانتئت حكومة مصر متمسكة بموقفها مصرة على سياستها تجاه هذه المسألة وتجاه تلك الناقلات ...

وقبل أن تنشب حرب فلسطين في عام ١٩٤٨ كانت السفن تمر في قناة السويس حسب النظام العادي دون رقابة ، حتى كان إعلان الأحكام العرفية في مصر ، إذ صدر من حاكم مصر العسكري أمر يدعى رقم ٥ لعام ١٩٤٨ ينص على أن السلاح البحري الملكي سيقوم بتفتيش السفن التي تمر في المياه المصرية ، وذلك لكي يمنع منها ما قد يكون مرسلا فيه أسلحة وذخائر لإسرائيل . وقد صدر أيضا أمر [illegible] ١٩٤٨ ينص على أن تقوم سلطة الجمارك [illegible] النظر فيما قد يكون مهربا فيها [illegible] من القمح وغيرها . وألغيت الأحكام العرفية في عهد وزارة الوفد الأخيرة التي أصدرت أمرا في شهر فبراير سنة ١٩٥٠ يقضي بتفتيش السفن والطائرات التي تأتي إلى الموانئ المصرية كي يضبط ما قد يوجد فيها من المواد والبضائع التي تهرب إلى إسرائيل ، وظل هذا الأمر ساري المفعول .

وقد تضامنت مصلحة الجمارك المصرية مع شركة القناة في تنفيذ أمر الحكومة المصرية سواء في زمن الأحكام العرفية أم في عهد إلغائها ، وأصدرت مصلحة الجمارك هذه تعليمات مشددة إلى غرفة الملاحة الدولية والشركات البحرية في منطقة قناة السويس تنص على أنه من الضروري بها أن تبلغ إدارة الجمارك بأية ناقلة من ناقلات البترول تمر في قناة السويس في أي اتجاه ، كي يمكن مراقبتها وتتبعها والوقوف على الجهة التي تنقل إليها حمولتها من البترول . كما ألقت مصلحة الجمارك المصرية مسئولية رحلات أية ناقلة من هذه الناقلات التي تخل بالنظام الموضوع ، على عاتق تلك الشركات البحرية ...

• • •

... وبالرغم من كل تلك التعليمات المشددة التي حشدت إليها حكومة مصر، فقد تبين أن كثيراً من ناقلات البترول تصل إلى إسرائيل عن طريق غير طريق القناة، فأحيطت وزارة الخارجية المصرية علماً بذلك من مذكرة رفعتها إليها إدارة الجمارك العامة، واجتمع مجلس الوزراء المصري واتخذ إجراءين حاسمين بشأن هذه المسألة ...

فأما الإجراء الأول فينص على أن كل ناقلة بترول تمر في قناة السويس متجهة جهة الشمال إلى أي بلد محايد يجب تعهدها رسمياً بالإتيان بشهادة رسمية من جمارك البلد الذي ستصل إليه وتصدق عليها السلطات السياسية المصرية في هذا البلد بإثبات أن الشحنات التي تحملها الناقلة قد أفرغت فعلاً في نفس البلد، وأن هذه الشحنات قد اتخذت سبيل الاستهلاك المحلي فيه ...

وأما الإجراء الثاني فيقضي بأن تمنع ناقلات البترول التي تفرغ شحنتها في موانئ إسرائيل، وبمنع ذلك مصلحة الجمارك المصرية، من شحنها في الموانئ المصرية، فضلاً عن منعها من التزود بالوقود في هذه الموانئ ...

ولا أنسى أن أذكر أن الحكومة المصرية لا تقدم أية تسهيلات في موانيها للناقلات التي تمر بهذه القناة وتكون ضمن ما وضعته مصر في قائمتها السوداء التي تضم الناقلات الأثيمة التي خالفت أوامر الحكومة المصرية وأفرغت شحناتها البترولية في إسرائيل !

وبذلك نرى أن الغرض الأساسي الذي ترمي إليه حكومة مصر هو أن تمنع كل إمداد يصل إلى دولة إسرائيل التي تعادي مصر وتحاربها منذ توترت المشكلة الفلسطينية على أثر إعلان التقسيم بين العرب واليهود ...

***

... على أن موقف الحكومة المصرية من هذه المسألة قد حدا بالحكومة البريطانية إلى أن تحتج لديها، وأن توعز إلى حكومات أخرى بالاحتجاج أيضاً، والعلة التي دعت إلى ذلك أن السفن التي تنقل البترول إلى إسرائيل عن طريق القناة لا تتكلف أجراً كبيراً ولا مجهوداً شاقاً، ولكن حين تدور هذه السفن عن طريق جنوب أفريقيا ثم إلى مضيق جبل طارق جنوب أسبانيا إلى البحر المتوسط ثم إلى إسرائيل، تتكلف الكثير من النفقات والباهظ من المتاعب والأجور ...

والمفهوم أن السفن التي تصل إلى إسرائيل مشحونة بالبترول هي سفن بريطانية. وقد رأت الحكومة المصرية أن تعلن في ١٢ من أغسطس سنة ١٩٥٠ أن القيود التي فرضتها على ناقلات البترول لا تنطبق على ناقلات البترول البريطانية التي تمر بقناة السويس إذا ثبت أن حكومة بريطانيا تملكها ...

وبريطانيا متذمرة كل التذمر، وتعتقد أن موقف مصر من هذه المسألة موقف يدل على التحكم المطلق في قناة السويس، كما يدل على خرق المعاهدة التي عقدت في ٢٦ من أكتوبر سنة ١٩٨٨ والتي نصت على حرية الملاحة في هذه القناة ...

واعتقاد كهذا أعتبره خطأ من الأخطاء الكبرى! إذ أن موقف مصر من هذه المسألة لا غبار عليه. فكما يثبت أن مصر في حالة حرب مع إسرائيل، وكل محارب من جهته يعمل على الحد من تقوية مواجهه، فلا غرابة أن تقف مصر هذا الموقف ... ثم إن هناك في المعاهدة المذكورة نصوصاً تنص على حق مصر والدولة العلية في اتخاذ أية إجراءات تكفل الدفاع عن مصر أو إقرار الأمن العام فيها، ومصر تريد ذلك الدفاع عن نفسها أخطار إسرائيل التي ترى حرباً من جراء شحنات البترول من الناقلات التي تمر في القناة وتأتي من إيران والبحرين وبلاد العرب وسواها كل يوم وكل يومين .. إن مصر لو تركت مثل هذه الشحنات البترولية تمر إلى أعدائها هكذا على مرأى ومسمع منها لكانت أحمق دولة في العالمين! فكيف إذاً تلومها بريطانيا وتحتج عليها وتريد منها أن تعدل عن هذا الموقف وتدع القناة دون منع ودون رقابة ؟!.. ومع هذا لا نجد من الدول إلا تأييداً لمثل هذا اللوم وترحيباً بمثل ذلك الاحتجاج !.. لكأن مصر خاطئة في أي قرار تتخذه وفي كل موقف تقفه، ولو كان لها الحق كل الحق في اتخاذ هذا القرار وفي الوقوف مثل ذلك الموقف، ما دامت بريطانيا ترى الفائدة في غير ذلك، ولكأن بريطانيا محقة كل الحق في كل ما تفعل

(البقية على صفحة ٦)

خواطر

للدكتور أحمد أمين بك

— ٧ —

كان الأدب أرستقراطياً ، لا يهتم إلا بحياة الملوك والأمراء ، فإذا اهتم بحياة الفقراء فليسرهم ويضحكهم ، وفي هذا العصر نتج الأدب الكلاسيكي الرفيع مثل السمفونية الرفيعة وقصص شكسبير ونحو ذلك . ثم صار الأدب ديمقراطياً يهتم بكروب الفقراء ، كما يهتم بقصور الأمراء ، ونتج من ذلك الأدب الخفيف الذي يناسب جمهور المثقفين ، ثم صار الأدب شعبياً يعنى بما يسر العمال والفلاحين ، ونزل الأدباء إلى مستوى الشعوب ، ورأينا برنارد شو و هـ . ج . ولز وأمثالهما يعرضون أدبهم على الطائفة البيضاء ، ويختارون الموضوعات التي تسر العمال والفلاحين ، أكثر مما يهتمون بما يسر الأمراء والعظماء ؛ فكان الأدب أخف ، وكان أكثر انتشاراً وأقل عمقاً ، وروعي فيه ما يسر ويضحك أكثر مما يراعى فيه رقي العقل وتربية الخلق ، ولا ندري إلى أين المصير .

وكان الكتاب هو الذي يغذي عقول القراء وأخذته ، فصارت تسلبه بعضه الإذاعات والسينمات والصحف والمجلات ؛ وكان الأدب لا يؤلف إلا للطبقات الرفيعة في أسلوبه وموضوعاته ؛ فأصبح يراعى فيه الشعب في أسلوبه وموضوعاته ، وانحط رواج الكتب ، وقلت الرغبة فيها بعد أن كانت أداة الأدب الوحيدة .

وكان التاريخ لا يؤرخ إلا أعمال الملوك والأمراء ، وقل أن يعرض لحالة الشعب ؛ فهي الحروب يشنها الملوك والأمراء ، والمباني الضخمة يبنيها الملوك والعظماء ، ويسجل كل صغيرة في حياة الملوك والأمراء حتى في لهوهم ، ولكنا قلما رأينا شيئاً في بؤس الشعب أو رفاهه ، في صحته أو مرضه — وحالته الاجتماعية ساءت أو حسنت — ثم أصبح التاريخ ديمقراطياً يعنى فيه بحالة الشعب ، كما يعنى فيه بأخبار الملوك ، ثم صار شعبياً في أسلوبه وموضوعاته ، أكبر عنايته بالحالة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للشعوب ، وقلما يعرض للملوك والأمراء . ولا ندري أيضاً إلى أين المصير !

وقل مثل ذلك في الشعر وسائر الفنون ، وقد كان يراد منها إدخال السرور على الملوك والأمراء ، وكان الشاعر لا يُدعى إلا إذا مدحهم وتغنى بمدحهم وشعر بما يرضيهم ؛ وإذا نبغ نابغة من سائر الفنانين ، فإنما ينبغ في قصورهم ، ولا يشتهر إلا إذا نال حظوتهم ، ولذلك نبغ شعراء بغداد أكثر مما نبغ شعراء الأقطار الأخرى ، واشتهر مغنو بغداد أيام الخلفاء أكثر مما اشتهروا في الأقطار الأخرى .

ثم صار الشعر وسائر الفنون ديمقراطية يغني الشاعر لنفسه ، ولا يغني لخليفة ولا ملك ، وضعف شعر المديح وأكثر من شعر الغزل وما إليه ، ثم صار الشعر وسائر الفنون شعبياً يعنى بحالة الشعب في غناه وبؤسه ، والنظم فيه أكثر من المديح والغزل ، ثم لا ندري كذلك إلى أين المصير .

— ٨ —

منذ أشهر قليلة اعتدت كوريا الشمالية على كوريا الجنوبية بحجة توحيدها وإخضاع القطرين كليهما تحت نظام واحد عادل ، وكوريا في أقصى الأرض ، فقامت أمريكا ، وزحفت بجنودها وأرسلت دباباتها وطائراتها وفتكت بمئات الآلاف من الناس وعرضت مئات آلاف أخرى للموت من رجالها ، وعاونها في ذلك حلفاؤها ، لادعاء تحقيق العدالة .

ومنذ سنين كان نحو تسعمائة ألف عربي مستقرين في بلادهم فهاجمهم اليهود من الداخل والخارج ، وشردوهم كل مشرد ، وهم في وسط العالم لا في أقصاه ، وموقف اليهود من العرب أسوأ جداً من موقف كوريا الشمالية من كوريا الجنوبية ، فساعدهم الأمريكيون وحلفاؤهم بكل ما استطاعوا من مال وعتاد ، ثم قررت هيئة الأمم في سنة ١٩٤٨ رسم الحدود بين اليهود والعرب ، وكان النقب من نصيب مصر ، وفي سنة ١٩٤٩ قررت هيئة الأمم رجوع اللاجئين العرب

إلى مساكنهم الأصلية . وفي ديسمبر ١٩٤٩ قررت هيئة الأمم تدويل القدس ؛ ولا شيء من هذه الأمور الثلاثة لم ينفذه اليهود كما قررته هيئة الأمم المحترمة ؛ فلم يعيدوا اللاجئين إلى بلادهم ، بل بالعكس شردوا من في النقب من العرب ، واستولوا على الحدود المصرية ولم يريدوا تدويل القدس كما قررت هيئة الأمم ؛ كل هذا وأمريكا لا تحرك ساكناً ، ولم ترد أن تنفذ قراراتها المحترمة ، بل ولا تنظر نظراً شزراً إلى اليهود . فأين العدالة ؟ وأين تنفيذ القرارات ، ولماذا غضبت وسخطت وحرضت العالم كله لحرب دامية بسبب كوريا ولم تحرك أي ساكن لفلسطين . فهل فلسطين أبعد عن العالم من كوريا ؟ أم حركة الكوريين الشماليين أقسى من حركة اليهود في فلسطين ؟ لا شيء من ذلك ، وإنما نظرت الولايات المتحدة في كل ذلك إلى شخصها لا إلى العدالة مجردة ،

ذلك أن تنتقل الحرب من كوريا إلى الحرب في ألمانيا إلى الحرب في الصين واليابان والهند ، وأن تتوسع الشيوعية تدريجاً بعد كوريا ، فأرادت أن تجرب حظها في كوريا لتمنع هذا التوسع ولو أدى ذلك إلى خسارة مئات آلاف من الجنود ، ومقدار كبير من العتاد ، ولو أدى ذلك إلى حرب عالمية ثالثة ؛ وليس هذا هو الشأن في فلسطين . فالأمر ليس عدالة ، وإنما هو نظر إلى المصلحة الشخصية . ولأول مرة أدرك العرب مع طيبتهم أن دعوى العدالة أثناء الحروب ونصرة الأمم الضعيفة واحترام رغبة الأقليات ، كانت دعاوى تقال إما خداعاً للشعوب المظلومة وذراً للرماد ، وإما أنهم يقولون ما يقولون في أوقات الشدة ثم ينسونه في أوقات الرخاء . وويل للإنسان من ظلم الإنسان !

أحمد أمين

مسألة ناقلات البترول

(بقية المنشور في [illegible])

لنا أن نعمل في مصر ، ولو كان في ذلك [illegible] ما دامت ترى فائدتها في هذا وتشعر بعدوانها في ذلك .

* * *

.. لقد قامت في برلمان الإنجليز احتجاجات وأصوات تنادي باتخاذ قرار حاسم ضد موقف مصر من مسألة ناقلات البترول ، حتى لقد قامت وجهات ترى أن مصر ليس لها أن تقف موقف الدولة المحاربة ضد إسرائيل ، وتريد أن ترفع الأمر إلى هيئة الأمم ، أو إلى المحكمة الدولية في لاهاي ، أو إلى سواها من وسائل الاحتكام ... أليس من العجب أن تصدر أمثال هذه الوجهات من الإنجليز ؟!.. أم يشكون في أننا دولة لنا أن نتخذ اسم الدولة المحاربة ويستنكرون علينا موقفاً نقفه من ناقلات البترول إلى أعدائنا ، ويرغبون الاحتكام معنا إلى الهيئات الدولية ، ونحن نراهم قد احتلوا ديارنا وامتلكوا سوداننا وساموننا الخسف وهوان التدخل والاحتلال ، ولا نريد أن نحتكم إلى محاكم العدل ، ولا إلى هيئات الأمم ، بل لو فكرنا في ذلك — وكثيراً ما فكرنا — لا نلاقي إلا المصاعب والعقبات ، ولا نلاقي غير النكبات من الإنجليز وغير الإنجليز ...! ذلك أن هذا العالم لا يعرف غير القوة ، ولا يفقه غير معنى السلاح ....

وإن [illegible] يشكون في أننا دولة محاربة ، وإن [illegible] موقفنا في مسألة ناقلات البترول حسب هواهم وأوطارهم ؛ فلا بأس من أن نحرمهم أيضاً يشكون في مقدرتنا على أن نكون أمة تستحق أن تحيا ، ولها الحق في أن تعيش ...!

... ونأتي الأخبار بأن إسرائيل تزمع أن تنفذ مبلغ مليون جنيه لكي تحول قرية (إيلات) التي تقع على خليج العقبة إلى ميناء ، وتمد له طريقاً يصله بشبكة الطرق الرئيسية في إسرائيل مما يجعل هناك ميناء ينافس قناة السويس التي تتحكم فيها مصر — حسب رأى إسرائيل والإنجليز — تجارة إسرائيل وناقلات البترول إليها ، ومن مثل هذه الأخبار نستطيع أن نقول إن القمين بنا أن نظل على هذا الموقف الذي نتخذه ، بل وأن نتمسك بمبادئ قوية نتخذها فقط للحفاظ على مصالحنا قبل غيرها من المصالح ، وبخطوط رئيسية تكون غايتها فائدة مصر ومصلحة المصريين وقضايا المصريين ....

أحمد [illegible]

في ضوء الصباح

قلوب ...

للدكتور زكي نجيب محمود

جاء في الأنباء العلمية أن طائفة من العلماء الروس قد ابتت تجاهد — حتى أفلحت — في نقل الأعضاء من حيوان إلى حيوان ، فإذا الأعضاء المنقولة تعمل عملها في صاحبها الجديد ، على نحو ما كانت تعمله في الصاحب القديم .

فهذا هو العلم « طارف » يحدثنا عن نقل الساق من كلب إلى كلب ، فما هو إلا أن يمشي الكلب بساقه الجديدة ويجري ويقفز ، كأن الساق كانت ساقه منذ ولد ! وليس ذلك شيئاً مذكوراً إلى جانب ما وفق إليه العالم الأستاذ « ديميكوف » في نقل الرئتين من حيوان إلى آخر ، ثم ما استطاعه أخيراً الأستاذ « أوجنيف » من نقل القلوب ، فأخذ القلب من هذا ليضعه في ذاك [illegible] هؤلاء العلماء ما جاهدوا ليظفروا بلغهم من [illegible] .

وإذاً فقد جاء اليوم الذي ينتقل فيه القلب من أضلع زيد ليثبت في جوانح عمرو ...

* * *

كان « خالد » منذ أيام الشباب الأولى ، حاد العاطفة سريع الانفعال ، حتى لو رأيته لا تراه إلا محمر العينين منتفخ العروق من غضب ، وتكاد لا تسمعه إلا صائحاً ملوحاً بيديه وذراعيه في تحد ووعيد ، فهواه عاصفة أبداً ، وحزنه هائج مائج أبداً .

تصادفه المشكلات فيعالجها بالغريزة لا بالعقل ، وينظر إلى الحياة نظرة أقرب إلى نظرة الفنان منها إلى نظرة العالم ، أعني أنه يواجه الأشياء في مجموعها وكلياتها ، ويكره أشد الكراهية أن تطالبه بتحليل شيء ، أو موقف إلى عناصره ، أو تعليل النتيجة عندما يأتيها ؛ اختار زوجته لا لشيء ، سوى أنه قد سمعها مرة في الإذاعة تقول كلاماً لطيفاً عن حوض من الزهر في حديقة ، وصمم — ولو أنه لم ينفذ ما صمم عليه — أن يؤلف كتاباً في موضوع معين ، لأنه تصور العنوان فأعجبه رنينه إذا نطق به ، وأعجبه رسمه إذا كتب ، حتى لقد أوصى بهذا العنوان أن يكتب ويحفر ، قبل أن يخط من الكتاب حرفاً واحداً ! ووضع « الكليشيه » في درج مكتبه انتظاراً لفراغه من الكتاب ! فلا فرق عنده أبداً بين أن تقرأ أحرف الهجاء من الألف إلى الياء ، أو من الياء إلى الألف ، أو أن تبدأها من الوسط ثم تسير راجعاً أو متقدماً ، أعني أنه في ترتيبه لأموره ، لا يعبأ أن يجيء الأول قبل الآخر ، وعنده أن الطريقة الأصح في أي أمر ، هي الطريقة الأجمل ، والتصرف المقبول في نظره هو التصرف الذي يجيء وفق أهوائه ونوازع قلبه .

[illegible] مدفوعاً في حياته بعواطفه ، ثم [illegible] أقرب إلى القلب منها إلى الدوام ، ورأيته سريع التنقل في فكره وفي عمله على السواء ؛ فلا تكاد العاطفة تغريه بعمل ويبدأ في أدائه ، حتى تعود العاطفة فتغريه بعمل آخر ، وقلما قدر أن ينجز عملاً من أوله إلى آخره ؛ فحياته أقرب إلى كومة من مواد البناء منها إلى البناء المشيد المرصوص ، أو هي أقرب إلى قطرات المطر التي تدق النوافذ والجدران والأرض والشجر ، منها إلى نهر متصل الجريان متدفق التيار ، يبدأ شوطه عند منبع معروف ، لينتهي بمجراه إلى مصب معروف .

وهو قلق سريع الحركة ، لا تراه مرة واحدة يستطيع الجلوس على مقعد واحد في مكان واحد ثلاث ساعات متصلة ، ويقال إنه لا ينام من الليل إلا قليلاً .

لا يمنع عنده مانع أن يذهب إلى مقاول يقاوله في بناء بيت مساحته كذا وشكله هكذا ، دون أن يكون في كيسه من المال ما يكفي لبناء عش من أعشاش الطير أو بيت من بيوت

الحق ؟ ولكنه يفعل ذلك إن طاف برأسه مثل هذا الحلم الجميل ، وليس من ضير على أحد إذا لم يكن بناه .

وأنت عدو من أعدائه إذا عرفت أنه بصدد مشروع فسألته : ومن أين لك المال ؟ ذلك لأنه يكره العد والحساب ؛ وله حجة في ذلك طريفة طريفة ، وهي أنه قد عاش ما عاش من دهره لم يحسب ولم يعد ، وترك أموره تجرى « بالبركة » فلم يمت من جوع أو مرض ، وليست أعوامه الباقية في الحياة بأطول من أعوامه الماضية حتى يحسب لها الحساب .

وهكذا ترك « خالد » زمام أمره لعواطف قلبه .

* * *

وأصابت العلة هذا القلب الفياض بعواطفه ، الجياش بدوافعه ، فلم يعد يقوى على الحياة الزاخرة بالحركة السريعة والتقلب الفاجيء ، حتى لكأن هذا القلب قد قطعت نياطه كما يقولون ، يلهث إذا مشى الهوينا وقد كان إذا جرى لا يكبو ؛ غير أن الطب قد بلغ في معالجة القلوب مبلغاً بعيداً ، فما أهون أن يوضع قلب سليم مكان قلب مريض ، فاستبدل خالد عند الطبيب قلباً بقلب .

لكن الطبيب حين يضع قلباً مكان قلب ، لا يعنيه ما تحتويه هذه القلوب من مشاعر وعواطف ، بل يعنيه أن يستبدل بعضلة ضعيفة عضلة قوية وكفى ، أما هل يحمل هذا القلب الجديد ما كان يحمل القلب القديم من عواطف ، فأمر لا يعنيه في قليل أو كثير .

وكان أن حمل خالد قلباً جديداً وخرج من عند الطبيب لا يدري أنه قد أصبح في الحق إنساناً آخر ، لأنه حمل الآن قلباً يختلف مكونه عن مكون قلبه القديم .

ذهب إلى داره ، وجلس إلى مكتبه ، وفتح درجاً من أدراجه ، فإذا عيناه تقعان على عنوان الكتاب الذي كان قد طلب إلى الخطاط أن يكتبه له ويحضره ، وأخذ يقلبه بين أصابعه متعجباً : لماذا يكون هنا قبل أن يكون الكتاب ؟ وما هو إلا أن ألقى « بالكليشيه » في سلة المهملات ، لأنه عرف الآن أن الكتاب لن يكتب ؛ وجاءه المقاول يفاوضه في أمر البيت الذي يريد بناءه لنفسه سكناً ، فلم يستمرئ أن ينطق في الموضوع بكلمة واحدة إلا إذا تهيأت له الأسباب أولاً ، فما هو اليوم بالرجل الذي كان ، وبدأت تدب بينه وبين زوجته ضروب من الخلاف لم تكن تقع بينهما فيما مضى ؛ فهو الآن يعد ويحسب قبل أن يذهب إلى المصيف ، وكان فيما مضى يذهب إلى المصيف بغير عد ولا حساب ؛ وهو الآن يفصل ميزانية داره تفصيلاً ، وكان فيما مضى ينفق ما في الجيب معلقاً رجاءه بما قدر له في الغيب . . .

لم تعد حياة خالد تشيع في نفسه لذة ونشوة كما كانت تشيع فيه حياته الأولى اللذة والنشوة في عهد قلبه القديم ، فليس في القلب الجديد من دخان العواطف ما يحجبه عن الحقائق الواقعة ؛ والنظر بالعين المجردة إلى الحقائق العارية عن تزويق الخيال فيه مرارة وألم ، ولكنه آمن عاقبة وأسلم ختاماً وأخصب نتاجاً .

كان « خالد » في عهد قلبه القديم طفلاً يلهو بأحلامه لهواً لذيذاً جميلاً ، فأصبح تحت سيطرة القلب الجديد رجلاً يواجه الواقع المرير الأليم في شجاعة الرجال ؛ إن أحلام القلب شبيهة بمتعة لذيذة لأننا نطيع لأنفسنا فيها ما تشتهي ، فنتقي من ملامحها وتفاصيلها كما نشاء ونهوى ، ونختار من ألوانها وأوزانها كما نشاء ونهوى ؛ وأما الواقع فمرير في أكثر الأحيان ، لأن العالم يقدمه لنا مقدماً مطروحاً علينا [illegible] ؛ لكن الأحلام على لذتها من صنع الطفولة البريئة ، والواقع على مرارته من مميزات الرجولة الكاملة الناضجة .

النضج العقلي معناه إدراك الواقع والاعتراف به ، والعمل بمقتضاه ، فليس العمل منتجاً بقدر ما يتيح طابع الأشياء أن تنتج ؛ والعقل الذي لم ينضج هو الذي لا يطيق النظر إلى الواقع كما هو ، فيغمض عينيه ويرسل للأحلام عنانها ؛ ولا غرابة بعد ذلك أن جاء الشعر قبل النثر في تاريخ الأدب ، ما دامت مرحلة الشعر الحالم أسبق من مرحلة النثر الواقعي في تاريخ الحياة — حياة الأفراد وحياة الأمم على السواء . . .

ترعرع « خالد » في عهد قلبه الجديد ، الذي لم يطق معه أن يركب الواقع الثقيل أجنحة من ريش الأحلام الطائرة الدوارة ، ترعرع في عهد قلبه هذا مع الواقع وحقائقه ، لكنه مع ذلك تمنى لأبنائه كلهم أن يبدلهم الله قلوباً بقلوب ، فينزع من صدورها القلوب الحالمة الناعمة الآثمة ، ليضع مكانها قلوباً صاحية متيقظة واعية .

زكي نجيب محمود

مشـــــكلة الحرية

للأستاذ علي أدهم

الحرية شرط لازم من شرائط الحياة السليمة للفرد والمجتمع ، وليست الحرية مجرد مجموعة من القواعد الرتيبة والأصول الثابتة ، وإنما هي موقف تجاه الحياة ونزعة عالية تسمح لكل فرد من أفراد الأمة أن يتولى أمور نفسه على الطريقة التي يرونها ، ويعبر عن آرائه بالأسلوب الذي يختاره .

وقد مر بالإنسانية حين من الدهر كان مقصور الكفاح على الحرية فئة قليلة من أصحاب الامتيازات الأغنياء ، وقد كان العبيد في تلك العهود السالفة أقل قيمة وأنزل منزلة من سائر الآدميين ؛ والمجهود الذي بذل للقضاء على العبودية يبين كيف أن الحرية أصبحت مرتبطة أشد ارتباط بمسألة الكرامة الإنسانية ، فقد أدرك الناس أن المساس بالحرية معناه التعرض لكرامتهم الإنسانية والنيل منها أو امتهانها ، ومن ثم امتزجت فكرة الحرية بفكرة الكرامة الإنسانية .

وفي مستهل القرن العشرين كان الاعتراف بضرورة الحرية وتقدير قيمتها وعرفان فضلها ومزاياها أمراً مجمعاً عليه من المسائل المفروغ منها والتي أصبح الكلام فيها من قبيل تحصيل الحاصل وترديد ما يعلمه الناس جميعاً أو كالوارد في قول الشاعر :

وليس يصح في الأذهان شيء

إذا احتاج النهار إلى دليل

وكانت هناك أمم لا تزال متخلفة لم تظفر بنصيبها المناسب من الحرية ، ولكن هذه الأمم لم تكن حجة ضد الحرية ، وإنما كانت حجة لها ، وكان إجماع المفكرين في أنحاء الأرض على أن الحرية لازمة للناس والأمم لزوم الضوء والهواء والماء والغذاء .

فكل أمة من الأمم يجب أن تتولى أمورها بنفسها وتتحرر من سلطة الغير وسيطرة الأجنبي ، وقد حفل القرن التاسع عشر بحوادث تحرر الأمم من طغيان الأجنبي واستبداده بعد سقوط نابليون ، ووجدت الجمهوريات في أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية ، وتحررت إيطاليا ودول البلقان ، ونجحت الديمقراطية في الولايات المتحدة ، وقوي ساعدها ، وأخذت بالنظام النيابي ألمانيا والنمسا وتركيا ، وحتى روسيا وجد فيها الدوما ، وكانت الهند والصين ومصر تجاهد للظفر بالحرية وتسير في ركب الحضارة وتتعلق بأسباب التقدم .

وفي داخل الأمة يجب أن يكون الفرد حراً في تفكيره واعتقاده ، وفي كلامه وعمله ، له من الحقوق ما لغيره ، وعليه من الواجبات مثل ما على غيره ، ونصيبه من اهتمام العدالة ورعاية القانون مثل نصيب غيره من أفراد الأمة سواء بسواء ، فلا زيادة ولا نقصان ، ومن حقه أن يباشر أعماله ويعبر عن شخصيته في حدود القوانين المرعية .

وبدأ العالم يعرف أن هنالك لوناً آخر من ألوان الحرية ليس أقل قيمة ولا أضعف أثراً من الحرية السياسية والحرية الشخصية ، وهو الحرية الاقتصادية ، فمن الواجب تحرير الناس من الفقر واستعباد الحاجة والعوز وإرهاق العمل المضني الرتيب والإعدام من أضرار السكنى في البيئات القذرة الوبيئة . وليست الحرية في إزالة العقبات فحسب ، بل هي كذلك في التمكين من تبادل الفرص وإفساح المجال لشتى الكفايات ومختلف الطبقات .

وتقرر في الأذهان أن الحرية ليست تصوراً بسيطاً ، وإنما هي نظام له أركانه وجوانبه وأجزاؤه وعناصره ، وأنه لا بد من استكمال جوانبه واستيفاء أجزائه لتتضح معنى الحرية وتؤتي ثمراتها ؛ فالرجل الكامل الحرية هو الذي يعيش في بلاد مستقلة وفي ظل حكومة ديمقراطية يتساوى فيها الناس أمام القانون وفي نظام اقتصادي يجنبه غوائل الفقر ويتيح له الفرصة لإظهار مواهبه واستعداداته .

ووقعت الحرب الكبرى الأولى ، وفي معاهدة الصلح التي تلتها استرد البولنديون استقلالهم وظفر التشيك والسلوفاك ودول البلطيق بنصيبهم من الحرية ، وقوي أمر دول البلقان ، وأثبتت الدول الحرية وجودها ، ونجحت

إرادة الحكم النازي، وقارنت الهند بنصيب منه، وبدا للعيان أن حركة التحرر نامية متقدمة وأنها لابد مكتسحة كل ما في طريقها من العقبات.

ولكن هذه الحركة التقدمية القوية أصابها رد فعل لم يكن متوقعاً. فقد اشتدت في أوربا الأزمة الاقتصادية، وهبطت قيمة العملة، وخفضت الأجور، وانتشرت البطالة وفقد الكثيرون ثرواتهم، وأصابهم الإفلاس، وعضهم الفقر، وعجزت المجالس النيابية في بعض الأمم الديمقراطية عن مواجهة الموقف ومعالجة الأزمة؛ وفي البلاد التي منيت بالهزيمة في الحرب اشتد التذمر من سوء الأحوال الاقتصادية وفرض عدم التسليح عليها، واستغل بعض الرجال الأقوياء الطامعون في النفوذ والسلطان الفرصة، وسندهم الرأي العام الذي أصبح يميل إلى تركيز السلطة وشد أزرها وتقوية ظهرها، ويحرص على صيانة النظام والمحافظة على الأحوال العادية. فاستطاع هؤلاء الرجال الطامعون أن يثبوا إلى مقاعد الحكم، ويقبضوا بيدهم على مقاليد السلطة؛ وكانت قد شاعت في خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين اتجاهات فكرية ونزعات فلسفية [illegible] وتغض من قيمة العقل، وتشيد بالشعور والإحساس والبداهة. فاستغل هؤلاء الرجال الظافرون أمثال هذه الآراء، واتخذوها قاعدة لنظامهم؛ وكان من أخطر هذه الآراء، وأقواها سحراً رأي هيجل في إكبار شأن الدولة ورفع منزلتها وإعفائها من التبعات الأخلاقية وجعلها غاية الغايات وفوق كل اعتبار؛ والدولة عند هيجل كائنة حية لها حقوقها التي تعلو على كل الحقوق، فهي الفكرة المقدسة تسير في الأرض؛ وخصوم هيجل وفلسفته يعدونه مسئولاً عن الأفكار الأساسية التي قام عليها النظام النازي والنظام الفاشي؛ وأنصار فلسفته والمدافعون عنه يقولون إن هيجل حين قال إن حقوق الدولة أسمى من كل الحقوق، كان يقصد الدولة القائمة على الأسس الديمقراطية؛ ومهما كان من أمر الخلاف على تفسير مقاصده فإنه من المعروف أن النظامين الديكتاتوريين قد انتفعا بآرائه واستمدا منه وحيه؛ ومما ساعد على تأليه فكرة الدولة ضعف العقائد الدينية في العصر الحاضر، وقد ترك هذا الضعف الواضح فراغاً روحياً في النفوس فسح المجال لنمو فكرة تأليه الدولة وتقديسها، وقد صدرت تصريحات كثيرة من زعماء النازيين تنم على فرط إيمانهم بفكرة قدسية الدولة ممثلة في زعيمهم هتلر[1].

والواقع أن فكرة تأليه الدولة والقول بعصمتها، من الخرافات التي فتنت عقول الكثيرين وأضلتهم، والدولة بطبيعة الحال ليست سوى مجموعة من الرجال والنساء يشتركون في القيام بأعباء خاصة وتحقيق أهداف معينة؛ والإنسان ميال بطبيعته إلى الاجتماع أو هو مدني بالطبع كما يقولون، فالميل إلى التعاون مع زملائه طبيعي فيه، ولكن هذا لا يعني بحال من الأحوال أن الصورة التي يأخذها هذا الاجتماع يخلق حقيقة جديدة لم يكن لها وجود من قبل، فتصبح الدولة كائناً عضوياً كما توهم الواهمون، ولا نزاع في أن تصرف الفرد في الجماعة يختلف عن تصرفه وهو منفرد بنفسه، ولكن ليس معنى هذا أن الجماعة شيء مختلف عن الأفراد، وغاية ما في الأمر أن الفرد في الجماعة يستمد من قوتها ويفقد شيئاً من الشعور بالتبعة فيزداد جرأة، والأفكار التي يوحيها زعيم من الزعماء [illegible] في نفوس الجماعة وتكتسب عطفهم وتؤثر في شعورهم، ولكن ليس معنى ذلك أنه قد ولد مخلوق عنصري جديد؛ ولا ينقص ذلك من قيمة فكرة الدولة، فهي إن لم تكن مخلوقاً عضوياً فإنها نظام لازم للإنسان، ولولا وجودها لسادت الفوضى وتعذر وجود الإنسان، والدولة بالقياس إلى الفرد مثل الجو بالنسبة للجسم؛ فكلما كان الجو نقياً طيب الهواء صح الجسم وقوي، وكلما كان فاسد الهواء ضعف الجسم وذوى.

وبين الدولة والأمة تفاعل متبادل وتأثير مشترك، فكما تكونوا يولّ عليكم، أي أن الدولة تستمد طبيعتها واتجاهاتها من طبيعة الأمة ونزعتها، والدولة من ناحية أخرى تؤثر في طبيعة الأمة وتطبعها بطابعها، ولغة الأمة وقوانينها وعاداتها وتقاليدها قد أتتها الأجيال السالفة

(1) يمكن من يحرص على تتبع مثل هذه الأقوال العجيبة أن يرجع إلى كتاب «الحرب ضد الغرب» للكاتب الألماني كولناي ففيه مجموعة ضخمة من أمثالها مع ذكر قائليها War Against the West.

واشتركت في تكوينها وهي تتمثل في حالتها الحاضرة ، فالجيل الحاضر هو إلى حد كبير ما صنعته الأجيال السالفة ، والجيل المقبل هو كذلك إلى حد كبير ما نشترك نحن في صنعه وتكوينه ، فالجماعة أو الأمة شيء موجود وله كيانه ، وليس وهماً من الأوهام كالذي يحسبه بعض الفلاسفة السياسيين « القوة » إما من قبيل الخطأ في التفكير والانطلاق مع الأخيلة والأوهام وإما من طريق التضليل والتدجيل .

ولا نزاع في أن النظم الديكتاتورية لها مظهرها الأخاذ البراق وصوتها العالي الضخم وبتها السريع في الأمور وكفايتها الواضحة غير المنكورة في تصريف الشئون ورتق الفتوق ولم الشعث ، ولكنها مع ذلك لها عيوبها الخطيرة . فآراء الناس قد تختلف ، ووجهات نظرهم في المسائل العارضة والمشكلات الطارئة قد تتعارض وتتباين ، فإذا لم يحصل في هذا الخلاف بالمناقشة الحرة والبحث الطليق وتقليب الأمور على وجوهها في جو من الصراحة والحرية فلا بد من أن يتبع طريق آخر للفصل فيها وتبين الخطأ من الصواب ، وهذا الطريق هو الإملاء والإرغام والفرض ، فالديكتاتور هو صاحب الأمر والنهي والفصل والمرجع الأول والأخير ، وهو يتأثر في إصدار الآراء من غير [illegible] بآراء حاشيته وحوارييه ، ولا يسمح لأحد بأن يرى رأياً غير رأيه أو أن يذهب في علاج المشكلات مذهباً خلاف مذهبه ؛ ومن اجترأ على التصريح برأيه فجزاؤه الإبعاد والحرمان والطرد من وظيفته أو بلاده أو سجنه واعتقاله ، وفي بعض الأحيان قتله والتخلص منه ؛ وهناك تحل المؤامرة محل المناقشة ، والعمل في الخفاء والظلام بدلا من العمل في الجهر والعلانية ، ويكون لذلك كله أثره السيء في إفساد النفوس ، وهدم الأخلاق ، وتعطيل المواهب والملكات ، وتعريض الأمة للسقوط والهلاك ؛ ولا نزاع في أن التضحية بالحرية السياسية والحرية الشخصية من أجل الحصول على الاستقرار وتجنب الثورات والانقلابات تضحية غالية ، ولا يأتي من ورائها خير ، بل يجيء الضرر المحقق والنكبات المتلاحقة ، والمهم أن نتلافى عيوب الديمقراطية ونصلح أخطاءها ونستدرك نقائصها ، لا أن ننسخها ونلغيها ونستبدل بها النظم الديكتاتورية ، والحرية تسمح للإنسان بالوقوع في الخطأ ليتعلم الصواب ، ولا نزاع في أن الوقوع في الخطأ قد يضر المجتمع ، ولكن مشكلات الحياة كثيرة ومتنوعة ، والإنسان مهما بلغ من القوة فإنه أضعف من أن لا يخطئ في تناول تلك المشكلات الكثيرة المعقدة ، ومن الخطأ يتعلم الإنسان الصواب ، والمجتمع نفسه في حاجة ماسة إلى حرية الأفراد ليكون مجتمعاً سليماً ، والمجتمع السليم أفراده أقوياء أكفاء أحرار ، ومثل هذا المجتمع الحر السليم يرتفع فيه الأفراد بكفاياتهم الذاتية ويسقطون بسبب جهلهم وسوء تصرفهم ، والحرية الفردية هي أصدق محك لقيمة الأفراد وأحسن مقياس لأخلاقهم وشخصيتهم ؛ فالحرية تختبر الناس ، وتميز طيبهم من خبيثهم ، وتمحص الأخلاق ، وتكشف الدخائل والبواطن ، فيسمو من يسمو ويسقط من يسقط ، ويأخذ كل إنسان حيزه المناسب وقدره المحقق ، وتلتقي في ذلك مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة . وفي خلال عملية الارتفاع والهبوط يكتسب الفرد خبرة وتجربة ، والمجتمع الصالح يحاول على الدوام أن يتعرف نفسه ويتفهم أهدافه أو يحاول على الأقل أن يكون فكرة عن نفسه ، وليس في مكنة إنسان أن يعرف المجتمع من جميع نواحيه ، ولكن إذا حاول كل إنسان أن يصور الناحية التي يعرفها تصويراً صادقاً أمكن أن تتكون عن المجتمع صورة عامة مستمدة من ملاحظات الباحثين في نواحيه المختلفة ؛ وكلما كان هؤلاء الباحثون أحراراً في بحوثهم لا رقيب عليهم غير ضمائرهم أمكن تكوين فكرة عامة عن المجتمع تقارب الحقيقة جهد الطاقة البشرية ، ومثل هذه الصورة تمثل محاسن المجتمع ومساوئه ومزاياه ونقائصه ، ومن ثم أهمية حرية التفكير والارتياء وإبداء الآراء .

وهناك من يرتضون التفريط في الحرية ويرون قبول النظم الجائرة من أجل القضاء على الفقر ، وحجتهم في ذلك أن الفقير المعدم لا يفيد من الحرية ، ولكن هل يفيد الفقير المعدم من فقد الحرية ؟ وحقيقة أن الفقير المحروم قد لا تكون له قدرة على الانتفاع بالحرية ، ولكن فقدان الحرية من أجل ضمان الخبز والقوت للفقراء والمعوزين ليس

(البقية في صفحة ١٥)

لوحـــة إسرائيل

للأستاذ شحاتة آدم محمد

[هذه قصيدة من الشعر الانتصارات الباهرة التي أحرزها الملك المصري مرنبتاح من عهد الأسرة ١٩ في السنة الخامسة من حكمه على الشعوب والقبائل التي أغارت على مصر شرقاً وغرباً من ليبيا وفلسطين .

وتعتبر هذه القصيدة وثيقة هامة جداً وفريدة ، نظراً لأنها أول وأقدم نص في الأدب المشرق القديم والأدب المصري أيضاً ورد فيه لفظ إسرائيل ، وقد وردت هزيمة إسرائيل موجزة جداً ولكن صريحة للغاية على حد تعبير العلامة برستد ، وذلك في خاتمة النص .

ولفظ إسرائيل كما ورد هنا مخصص برجل وامرأة وثلاثة خطوط من علامة الجماعة فهو هنا يعني قبيلة أو أناساً ولا يعني بأي حال من الأحوال أرضاً أو وطناً ، وهو ما قصد إليه الكاتب تماماً .

وقد قمنا بترجمة هذه القصيدة من نصها الهيروغليفي المنشور في الدليل العام ، ولفت نظرنا إلى قراءتها الأستاذ الفاضل الدكتور أحمد بدوي وقام ببعض التوضيحات والتفسيرات التي أسلفناها الأول كما استعنا أيضاً بتراجم كل من العلامة برستد وأرمان وجوالفيف ، وروعيت حرفية الترجمة]

التاريخ والمقدمة :

في اليوم الثالث ، من الشهر الثالث ، من فصل الحصاد ، في السنة الخامسة من عهد صاحب الجلالة حورس رع ، الثور القوي ، الذي يغتبط للصدق ، ملك مصر العليا والسفلى (بان رع مرى آمون) بن رع (مرنبتاح حتب حر معات) المزيد القوة ، والعلي سيف حورس رع الثور القوي ، الذي حطم ذوي الأقواس التسعة[1] وجعل لاسمه الخلود دائماً وإلى الأبد .

تمجيد مرنبتاح لمصر :

من طبقت أخبار انتصاراته في كل الأقاليم آفاق الأرض ، ومن العمل القائح مظهر من مظاهر بطولته ، ملك مصر العليا والسفلى (بان رع مرى آمون) بن رع (مرنبتاح حتب حر معات) الثور المقدس ، سيد القوي ، الفاتح أعداءه ، الجميل في ميدان معركة النصر ، الذي ضربته تظهر في الحق .

من تمحو العاصفة التي تلبدت في سماء مصر ، وجعل أرض النيل ترى أشعة الشمس ، من أزاح جبلاً من نحاس من فوق أعناق الناس ، وأعطى النسيم لأولئك الذين غشيهم اليأس .

من جعل أفئدة أهل منف تشفى من أعدائها ، ومكن آلهة منف التانيين من الانتصار على الثائرين عليها .

من فتح أبواب منف في مصارعها بعد أن كانت مغلقة ، وجعل معابدها ما كانت تناله من أطعمة ، ملك الصعيد والدلتا (بان رع مرى آمون) بن رع (مرنبتاح حتب حر معات) .

الوحيد الذي ثبت القلوب ، وقلوب مائة ألف نسمة ، والذي أمام بصره دخل الهواء أنوفهم[1] .

هزيمة الليبيين :

من شق بلاد التمحو إبان حياته ، وبث الهلع في قلوب المشاوشة[2] ، وجعل الليبيين الذين وطئوا أرض مصر يرتدون على أعقابهم وفي قلوبهم رعب عظيم من مصر .

لقد خلفوا طوابيرهم التي في المقدمة وراء ظهورهم ، ولم تستطع أقدامهم الثبات ، بل ولت مدبرة بعد أن ألقى رجال القسي أقواسهم ، وقلب جيشهم الفار كان متعباً من السير ، وقربة الماء التي معهم ثقبت ورميت[3] ، وحقائبهم تركت وألقيت[4] .

(١) أي تنسموا نسيم الحرية .

(٢) التمحو والتحنو والمشاوشة قبائل ليبية كانت دائبة الإغارة على مصر .

(٣) لأن الماء الذي معهم نضب .

(٤) حتى يسهل الفرار .

(١) قبائل على حدود مصر تعرف بهذا الاسم ، كانوا مهرة في تصويب القسي والسهام ومصدر قلق لفراعنة مصر .

فرار زعيم ليبيا :

هرب زعيم ليبيا الخسيس الساقط تحت ستار الليل وحيداً ، وقد زالت عنه ريشته من فوق رأسه(١) ، وغاصت قدماه في الرمال ، ونُسيت سلالة أمام بصره ، وسُلب دقيق مؤنه ، ولم يعد عنده ماء في قربه يمكنه من الحياة .

لقد كان وجه إخوته متجهماً عند قتله(٢) ، وكل كان يقاتل رفيقه من بين قواده ، وقد احترق معسكرهم ، وصارت جثثهم رماداً ، وكل ما يملك صار نهباً لجنوده .

ولما وصل وطنه صار محزوناً على الدوام في أرضه ، خجلاً محنياً يتقبل الجزاء على خطئه التعس الذي أزال عنه ريشته(٣) .

الجميع يتكلمون عنه في بلده يقولون : لقد أصبح في قبضة آلهة تستلب جرمهم ، الذين جعلوا ملك مصر يلعن اسمه (مربوى) ملعون منف ، إنما بعد أن في أسرته حتى الأبد .

إن (إن رع مرى آمون) وراء عقبه ، و (مرنبتاح حتب حر معات) سوف يجعله يلق حتفه .

الحالة في ليبيا :

لقد أصبح مضرب المثل عند الليبيين ، وكل فتاة من الفتيات تقول للفتاة الأخرى : « لم يقع لنا ما وقع منذ عهد رع ! » ، وكل رجل مُسِن يقول لولده : « وا أسفاه على ليبيا ! » .

لقد انعدمت عن الليبيين الحياة في مظهرها الجميل حين كانوا يخطرون وسط الحقول للاقتناع خطاهم في يوم واحد ، بينما احترق التحذير في عام .

الإله سوتيخ قد ولى ظهره لزعيمهم ، فهجرت بيوتهم بأمره ، ولم يعد هناك عمل لأحمال في هذه الأيام . صار الاختفاء أمناً ، وأصبحت الطمأنينة داخل الكهوف . إنه ملك مصر العظيم الذي يقبض على القوة والسلطان ،

(١) دليل المهانة .
(٢) تهم من النصب لهزيمته .
(٣) ريشته التي كان يزين بها رأسه وهي شعاره .

من الذي يحاربه وهو يعرف سطوته ؟ أحمق هذا الذي سوف يلقاه ! إنه لن يعرف مطلع الصبح هذا الذي يطأ حدود مملكته .

حكايات مرنبتاح لمصر

إنهم يقولون عن مصر : منذ بدء الآلهة وهي البنت الوحيدة للإله رع ، وإنه ابن رع الذي يتربع على عرش الإله شو(١) . لا يوجد عقل(٢) يفكر في الاعتداء على شعبه ، لأن عين كل إله تطارد من يعتدي عليها ؟ إنها تحرض على تولص أعدائها .

إن (الفلسكيين)(٣) يقولون عن نجومهم ، وذوى الفكر عندما يطلقون الرعي : « لقد حدثت معجزة لمصر جعلت كل من يعتدي عليها سجيناً طول حياته مدى الدهر ، بأمر الملك القدوس المنتصر على أعدائه أمام رع » .

لقد اندحر مربوى فاعل الشر وباعث الفتنة ، الملعون من كل إله في منف ، وهو كم على يد الملك في هليوبوليس ، حيث قرر الآلهة التسعة أنه مغلوب لأجل جرائمه .

الآلهة تفرح بمرنبتاح :

قلوب الآلهة : أعط السيف لولدي ، القوى القلب ، الطيب ذي الرحمة (إن رع مرى آمون) بطل منف ، المتحدث عن هليوبوليس ، الذي يفتح المدن المغلقة ليفك سراح الجماهير المكبلة في الأسر في كل بلد ؛ ويمنح القرابين المعابد ، ويدع البخور يدخل على الآلهة ، ويمكن الأمراء من أن يستعيدوا أملاكهم ، ويعيد البؤساء إلى مُدُنهم .

ثناء هليوبوليس :

إنهم يتحدثون في حضرة عظمائهم في هليوبوليس عن ابنهم (مرنبتاح حتب حر معات) قائلين : هبه البقاء مثل رع ، ودعه يدافع عن كل معتدى عليه من أي بلد أجنبي . مصر قد صارت من قسمته للأبد وقوته في شعبه .

(١) شو : إله الهواء .
(٢) عربياً « الت » .
(٣) عن الرمال .

تأمل! من يعش في عهد هذا البطل تأت إليه أنفاس الحياة سراعاً، والرخاء يتدفق على كل من كان على حق، أما الشرير فلن يستطيع أن يحتفظ بغنمه، ومن يحصل على ثراء بطريق غير مشروع سوف يؤول ثراؤه إلى آخرين لا إلى أبنائه.

قيل: إن مريوي المهزوم الحقير، الليبي المندحر، جاء ليغزو حوائط الإله تين[١] الذي جعل ولده (بان رع مري آمون) ابن رع (مرنبتاح حتب حرمعات) يشرق على عرشه.

وقال الإله بتاح عن الليبي المغلوب: «كل جرائمه سوف تتجمع وتنصب على رأسه، دعه يقع في يد (مرنبتاح حتب حرمعات) حتى يجعله يلفظ ما ابتلعه كالتمساح».

تأمل! إن الأسرع هو الذي يأخذ بتلابيب من كان سريعاً، فالملك سوف يقتنصه رغم ما هو معروف عن قوته، لأن آمون سوف يأخذه بيده ويسلمه إلى روحه في هرموبوليس[٢] إلى ملك الجنوب والشمال (بان رع مري آمون) ابن رع (مرنبتاح حتب حرمعات).

نشوة النصر:

لقد عم مصر طرب عظيم، والفرح يتعالى صاعداً من مدن مصر، والناس يتحاورون الحديث عن الانتصارات التي أحرزها (مرنبتاح حتب حرمعات) على التحنو، يقولون: «كم هو محبوب ذلك الظافر! كم هو مبجل لدى الآلهة! كم هو ذو حظ عظيم ذلك الملك القائد!

(الآن) نستطيع أن نجلس في نشوة ونتكلم، ونستطيع أن نمشي حراً في الطريق.

لم يعد هناك وجل في قلوب الناس.

الحصون تركت لذاتها، والآبار فتحت من جديد، الرسل تتهادى تحت شرف الحوائط تستظل من الشمس حتى يستيقظ الحراس[٣].

(١) أي مدينة منف.
(٢) مدينة حورس طيبة.
(٣) الرسل لا توقظ الحراس نظراً لأنها لا تحمل رسائل مستعجلة كما هو في حالة الحرب.

وجنود الماتوي[١] ترقد نائمة في سبات عميق[٢]، وحرس الحدود وسط المزارع وفق هواهم[٣].

وقطعان الماشية في الحقل تركت تمشي على رسلها بدون رعاة عابرة الجدول الفائض.

لم يعد هناك ارتفاع الصيحة في الليل: «قف! تأمل! شخص قادم! شخص آت ذو لسان أجنبي!».

الناس تروح وتجيء، تغني، ولم يعد هناك عويل لأناس حزانى.

عمرت المدن من جديد، ومن يفلح حباً سوف يأكله.

الإله رع أدار وجهه نحو مصر، لقد ولد ليكون حامياً لها، ملك مصر العليا والسفلى (بان رع مري آمون) ابن رع (مرنبتاح حتب حرمعات).

انتصار مرنبتاح بفلسطين[٤]:

لقد انكفأ الزعماء على وجوههم قائلين: «السلام»[٥]
ولم يعد أحد يرفع رأسه من ذوي الأقواس التسعة.
خربت تحنو
وسكنت خيتا السلام
وسلبت كنعان وذهب معها كل شر
وأخذت عسقلان وأخذت جزر
ينوعام وصارت من عدم
أبيدت إسرائيل، ولم يعد عندهم حبوب.
وصارت فلسطين أرملة[٦] أمام مصر
كل الأقاليم قد وحدت وعم ربوعها السلام
وكل من كان ثائراً أصبح في قبضة ملك الوجهين
(بان رع مري آمون) ابن رع (مرنبتاح حتب حرمعات)
الذي وهب الحياة مثل رع كل يوم.

شحاته آدم محمد

(١) جنود لوبيون يعملون كمرتزقة.
(٢) الجند لا تعزف لأن الأمن قد استتب بعد النصر.
(٣) لأن المياه آمنة.
(٤) يعدد مرنبتاح في الاثني عشر سطراً التالية في آخر النص الشعوب والمدن التي قهرها بفلسطين.
(٥) أي سقطوا على وجوههم بعد الهزيمة يطلبون السلام، واللفظ الهيروغليفي الوارد في النص لكلمة «السلام» الترجمة هو «شالوم» أو «شالم».
(٦) أي بلا زوج يحميها من مصر.

مراثي الشـــعراء

للرسول عليه الســـلام

— ١ —

للأستاذ الشاعر محمد عبد الغني حسن

هذا موضوع لم أجده مجموعاً في كتاب ، ولم أقع عليه بحثاً مستقلاً في كتب السيرة النبوية ، أو مطولات التاريخ ، أو الأخبار الأدبية ، كسيرة ابن هشام ، والسيرة الحلبية ، وتاريخ الأمم والملوك للطبري ، والكامل لابن الأثير ، والبداية والنهاية لابن كثير ، والبيان والتبيين للجاحظ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، ولم أجده حتى في الباب المطول الذي عقده النويري في الجزء الخامس من « نهاية الأرب » تحت عنوان : المراثي والنوادب . ولكني جمعته من بضعة عشر كتابا سأذكرها في نهاية البحث تسهيلاً لمن يريد المراجعة

وعجيب جداً أن تمر على الأمة العربية الإسلامية هذه القرون الطويلة ، وأن يمر على وفاة هاديها ومرشدها محمد بن عبد الله أكثر من ثلاثة عشر قرناً لا يجعل موضوع رثائه صلى الله عليه وسلم مضموماً ملموماً كأنه موضوع واحد وإنما يصادف القارئ عن وفاة النبي [illegible] هناك . حتى إنك لا تجد في كتاب المؤرخ الطبري على طوله وضخامته وتوسعه في أخبار الرسول وولوعه برواية الشعر المناسب لأحداث التاريخ — لا تجد فيه بيتاً واحداً من قصيدة رثى بها النبي عليه السلام . ولو لم يرد في تاريخ الطبري شعر البتة لقلنا إن المؤرخ الإسلامي قد جرى في طبعه من عدم الاهتمام بذكر الشعر في كتابه الكبير . ولكن تاريخ الطبري مملوء بأشعار غزار — جاهلية وإسلاماً — فما باله يغفل مراثي النبي عليه السلام من حسابه[1] ؟

ولعل المؤرخ الوحيد الذي لم يغفل ذكر مراثي الشعراء للنبي من حسابه هو أبو محمد عبد الملك بن هشام صاحب « سيرة النبي » ، والذي يعد أوثق مصادرنا عن حياة الرسول وعن وفاته . إلا أن ابن هشام — لأمر لا نعلمه — لم يذكر من الشعراء الذين رثوا النبي عليه السلام إلا حسان بن ثابت . فروى له في الجزء الأخير من السيرة أربع قصائد : ثلاثا منها دالية القافية ، والرابعة قافيتها رائية .

وأطول قصائد حسان بن ثابت في رثاء النبي عليه السلام — على رواية ابن هشام — هي الدالية التي مطلعها .

بطيـــبة رسم للرسول ومعهد

منير ! وقد تعفو الرسوم وتهمد

وتبلغ عدة أبياتها ستة وأربعين بيتاً ، وهو نفس العدد الذي رويت به القصيدة في ديوان حسان بن ثابت ، المشروح بعناية الضابط الأديب محمد العناني .

ونحن في « سيرة ابن هشام » عن مرثية نبوية لغير [illegible] فلا نجد إلا المراثي الأربع الحسانية التي أشرنا إليها

ولا شك أن اتصال حسان بن ثابت بالنبي وقربه منه وتصديه نفســه للدفاع عنه وعن دعوته حياً ، قد أثار فيه كوامن الشجن حين لقي رسول الله إلى ربه ، فإذا شاعرية حسان الغزيرة تنهمر عن سيل من المراثي ، نحس — ونحن نقرؤها — أثر الفجيعة في نفس شاعر الرسول .

ولم يكن حسان وهو يرثي رسول الإسلام معبراً عن نفسه وحده ، أو عن المسلمين بصفة عامة ؛ ولكنه صور مصيبة الأنصار في النبي أرق تصوير ، حتى لقد خشي على مصير الأنصار بعد وفاته عليه الســلام . ولم يكن حسان في هذا إلا معبراً عن شعور قومه ، فهو أنصاري ، بل هو من السابقين منهم إلى الإســلام . وما أصدقه وهو يقول :

والله أسمعُ ما بقيت بهـــالك

إلا بكيت عــلى النبي محمـــد

---

(١) ولقد تابع ابن الأثير في « الكامل » الطبري ، فلم يذكر مرثية واحدة من مراثي الشعراء للرسول .

يا ويح أنصار النبي ورهطه
بعد المغيب في سواء الملحد
ضاقت بالأنصار البلاد فأصبحوا
سوداً وجوههم كلون الإثمد

وما أكثر تفجعه وهو يرثيه بهذه الأبيات :

تبَّ المساكين أن الخير فارقهم
مع النبي تولى عنهمو سحرا
من ذا الذي عنده رحلي وراحلتي
ورزق أهلي إذا لم يؤنسوا المطرا
أم من نعاتب لا نخشى جنادعه(1)
إذا اللسان عتا في القول أو عثرا
كان الضياء ، وكان النور نتبعه
بعد الإله ، وكان السمع والبصرا
فليتنا يوم واروه بملحده
وغيبوه ، وألقوا فوقه المدرا
لم يترك الله منا بعده أحداً
ولم يعش بعده أنثى ولا ذكرا

ورثاء حسان بن ثابت الرسول يجمع بين العاطفة الخاصة التي تنبع من شعور شخصي وانفعال ذاتي ، وبين شعر الرثاء العام الذي يعبر فيه الشاعر عن عظم الفجيعة في الرزء وخسارة الناس بفقده ، وحيرة أمرهم من بعده . وترى ابن ثابت يجمع في المرثية الواحدة للنبي عليه السلام بين هذين النحوين ؛ فبينا يقول من قصيدة :

تالله ما حملت أنثى ولا وضعت
مثل الرسول نبي الأمة الهادي
ولا برى الله خلقاً من بريته
أوفى بذمة جار أو بميعاد
من ذا الذي كان فينا يستضاء به
مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد ؟

إذا به يقول من القصيدة نفسها :

يا أفضل الناس إني كنت في نهر
أصبحت منه كمثل المفرد الصادي

وبينا يقول في رثائه عليه السلام من قصيدة :

يا بكر « آمنة » المبارك بكرها
ولدته محصنة بسعد الأسعد
نوراً أضاء على البرية كلها
من يُهدَ للنور المبارك يهتدي

إذا به يقول في القصيدة نفسها :

ما بال عينك لا تنام كأنما
كحلت مآقيها بكحل الأرمد
جزعاً على المهدي أصبح ثاوياً
يا خير من وطئ الحصى لا تبعد !
وجهي يقيك الترب لهفي ! ليتني
غيبت قبلك في بقيع الغرقد(1)
بأبي وأمي من شهدت وفاته
في يوم الاثنين ، النبي المهتدي
فظللت بعد وفاته متبلداً
متلدداً ؛ يا ليتني لم أولد
أأقيم بعدك بالمدينة بينهم
يا ليتني صبحت سم الأسود

ولكن حسان بن ثابت لم يسترسل في مراثيه النبوية إلى البكاء والنحيب والتفجع وتمني الموت — كما فعل في البيت الأخير الذي تمنى فيه أن يسقى في الصباح سم الحيات حتى يرتاح من آلامه وأحزانه ، ولكنه اتخذ من مراثيه التي معرضاً يعرض فيه أخلاق الرسول وصفاته الكريمة على أسمع ما تعرض عليه الأخلاق حين يطويها الفناء فلا يبقى إلا ذكرها ، ولا يأرج إلا عطرها ؛ اسمعه وهو يقول من قصيدة أخرى في وصف الرسول باكياً عليه متفجعاً فيه :

إمام لهم يهديهم الحق جاهداً
معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا
عفوّ عن الزلات يقبل عذرهم
وإن يحسنوا فالله بالخير أجود
وإن ناب أمر لم يقوموا بحمله
فمن عنده تيسير ما يتشدد

---

(1) الجنادع أوائل الشر ، أو ما دب منه .

(1) بقيع الغرقد : مدفن المدينة التي دفن فيها الرسول .

فبينا هم في نعمة الله بينهم
دليل به نهج الطريقة يقصد
عزيز عليه أن يجوروا عن الهدى
حريص على أن يستقيموا ويهتدوا
عطوف عليهم لا يثني جناحه
إلى كنف يحنو عليهم ويمهد
فبينا هم في ذلك النور إذ غدا
إلى نورهم سهم من الموت مقصد

فإذا بلغ حسان بن ثابت هذا المبلغ من وصف النبي مضى إلى وصف وحشة البلاد من فقده، وانقطاع الوحي الذي كان ينزل عليه فيؤنس الأرض؟ ووصف حسان هذه البقاع الموحشة الكئيبة لفقد الرسول، إلا بقعة معمورة اللحد، ضافها فقيد الإسلام الكريم، هي البقعة التي ضمت جسده الطاهر، فهي روضة آنسة بضيافة الرسول. ويقوده هذا الوصف لوحش البقاع إلى بكاء نابه، فيستدر دموع عينيه قطرة قطرة قائلاً:

فبكي رسول الله يا عين عبرة
ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد
وما لك لا تبكين ذا النعمة التي
على الناس منها سابغ يتغمد
فجودي عليه بالدموع وأعولي
لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد

فإذا أعقبه انحدار الدمع راحة، أو شفى شجى بالإبانة، عاد إلى وصف الرسول قائلاً:

وما فقد الماضون مثل محمد
ولا مثله حتى القيامة يفقد
أعف وأوفى ذمة بعد ذمة
وأقرب منه نائلاً لا ينكد
وأبذل منه للطريف وتالد
إذا ضن معطاء بما كان يتلد
وأكرم صيتاً في البيوت إذا انتمى
وأكرم جداً أبطحياً يسوده
وأمنع ذروات، وأثبت في العلا
دعائم عز شاهقات تشيد
وأثبت فرعاً في الفروع ومنبتاً
وعوداً غذاه المزن فالعود أغيد
رباه وليداً فاستتم تمامه
على أكرم الخيرات رب ممجد

* * *

على أن رواية المؤرخ ابن هشام لمراثي حسان بن ثابت وحده في الرسول عليه السلام لا يدل على أن حسان انفرد وحده من بين شعراء عهد الرسالة برثاء الرسول. فهناك شعراء آخرون وشواعر رثوا النبي عليه السلام، ولكن مراثيهم جاءت متفرقة في غير مظان... فإن المؤرخ الحافظ المصري عماد الدين بن كثير روى في كتابه «البداية والنهاية» مرثيتين في الرسول: أولاهما دالية حسان بن ثابت التي أشرنا إليها في مطلع البحث، والتي مطلعها: (بطيبة رسم للرسول ومعهد). وثانيتهما قصيدة لأبي سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب، وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أبو سفيان هذا شاعراً وقد أسلم يوم فتح مكة وعرض نفسه على النبي. فأذن له عليه السلام بعد تمنع لما لقيه من أذاه قبل إسلامه. فلما أدخل على رسول الله أنشد بين يديه قصيدة يعتذر فيها عما مضى منه ويقول في مطالعها:

لعمرك إني يوم أحمل راية — لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله — فهذا أواني حين أهدى وأهتدي

فلما مات عليه السلام رثاه بالأبيات التي ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية؛ ولم يذكرها ابن الأثير ولا الطبري ولا ابن هشام كما سلف القول. ولكن جاء ذكرها في كتاب آخر متأخر اسمه: (الذخائر والأعلاق في آداب النفوس ومكارم الأخلاق) للإمام أبي الحسن بن سلام الباهلي. إلا أن روايتها في البداية والنهاية تختلف عن روايتها في الذخائر. ونحن مثبتون هنا نصها كما في ابن كثير:

أرقت فبات ليلي لا يزول
وليل أخي المصيبة فيه طول
وأسعدني البكاء وذاك فيما
أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت
عشية قيل قد قبض الرسول

وأضحت أرضنا مما عراها
تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا
يروح به ويغدو جبرئيل
وذلك أحق ما سالت عليه
نفوس الناس أو كربت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا
بما يوحى إليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالاً
علينا والرسول لنا دليل

***

أفاطم إن جزعت فذاك عذر ... وإن لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر ... وفيه سيد الناس الرسول

***

وأما رواية «السمائر والأعلاق» ففيها هذه الأبيات الزائدة :

كأن الناس إذ فقدوه عمي ... أضر بهم ملازمهم عليل

وفيها في وصف النبي :

عفيفاً يطهر الغيب منا ... [illegible]

وفيها خطاباً لفاطمة عليها السلام :

فعودي بالعزاء فإن فيه ... ثواب الله والفضل الجزيل

***

ولا شك أن وفاة النبي عليه السلام كانت حدثاً زلزل الإسلام ، تلقاه المسلمون بالدهشة ؛ فهذا عمر بن الخطاب قام في الناس قائلاً : (إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفي ؛ وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ... فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم بعد أن قيل : قد مات .. والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله قد مات) . ولم يفق عمر من دهشته إلا حين نبهه أبو بكر في خطبته إلى قوله تعالى : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) ، وإلى قوله : (إنك ميت وإنهم ميتون) .

فأين مبلغ أثر وفاة النبي في نفوس بقية الشعراء غير حسان بن ثابت وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ؟

وأين كان في ذلك اليوم العبرة آثار شعر عبد الله بن الزبعرى ، وعبد الله بن أنيس ، وضرار بن الخطاب ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، وعلي بن أبي طالب ؟ وأين كان من الشواعر السيدة فاطمة بنت محمد بن عبد الله عليها السلام ، وصفية بنت عبد المطلب عمة الرسول ، والخنساء الشاعرة التي رثت أخويها صخراً ومعاوية ، كما رثت أبناءها الأربعة الذين استشهدوا في حرب القادسية سنة ١٦ هـ ؟ .

ذلك موعدنا به في كلمة تالية .

محمد عبد الغني حسن

مشكلة الحرية

(تتمة المنشور في صفحة ١١)

غني ، ومحاربة الفقر فريضة على المجتمع ، ولكن إشاعة الحرية [illegible] نكبة يبتلى بها المجتمع ، فكيف [illegible] ؟

والمقتضى أن الحرية يحسن أن يكون لها حدود لوقاية الحرية نفسها ، ولكن إساءة استعمال هذا التحديد قد تعود على الحرية بأفدح الأضرار ، كما أن الحرية المطلقة الجامحة قد تؤدي إلى العسف والطغيان وفقد الحرية ، وتحديد الحرية لا يكون إلا بإقامة حدود للغنى والفقر : فالمجتمع الذي يبيح لفئة قليلة من الناس أن تجمع الثروات الضخمة وتسرف في الامتلاك والاستئثار والاحتكار تتعرض حريته للخطر وطغيان أصحاب رءوس الأموال واستخدامهم الدولة لأغراضهم الخاصة ومصالحهم الذاتية ؛ والمجتمع الذي يترك طائفة من أفراده تعاني الفقر المدقع ولا يحاول استنقاذهم والأخذ بيدهم وتحرير كرامتهم تصبح حريته كذلك في مهب الريح ومدرجة الضياع ؛ ولا بد من الموازنة بين الفقر والغنى لينعم المجتمع في ظلال الحرية الحقة ، وينعم بالاستقرار والطمأنينة ، ويوقى شر الهزاهز والاضطرابات والثورات والانقلابات .

علي أدهم

نظرات فلسفية

للأديب جلال أحمد أمين

فوق الإطار

من الغريب أننا نعيش مع هؤلاء الممثلين بقلوبنا وأرواحنا، نبتسم لسعادتهم، ونبكي على شقائهم، نلقي بأنفسنا في هذه الحياة التي يمثلونها فتلتهب عواطفنا وعقولنا حيثما أرادت هذه الحياة، بينما نحن ندرك كل الإدراك أن هذه ما هي إلا رواية، وأنهم يقولون شيئاً موضوعاً، وأنهم يمثلون لا أكثر ولا أقل، وأنهم مهما أجادوا ومهما سلبوا من عواطفنا، فهاهي جدران المسرح ومقاعده لا زالت تصيح: إنها رواية!

من الغريب أننا نبكي على حوارهم ثم نصفق لهم، ويذيبون قلوبنا فنزيد بهم إعجاباً، يصورون لنا الحزن فنصفق، ويصورون لنا السعادة فنصفق، نعجب بهم أشقياء كما نعجب بهم سعداء، ثم نخرج لنقول: لقد [illegible]

ثم نمضي إلى حياتنا، لنجد فيها الحزن والسعادة، [illegible] ونشقى ونقهقه حيناً ونسيل دموعنا حيناً آخر ثم نخرج منها ولا نصفق..

نعيش مع هؤلاء الممثلين فنتذكرهم على كل ما يسيلون من دموع، فلا نتحدث عنهم إلا وقد نسينا كل هذه الدموع التي ذرفناها وكل هذه الضحكات، فلا نذكر إلا هذه الروعة التي وقفوا بها على المسرح فأضحكونا بها وأبكونا..

ثم نمضي إلى حياتنا، ونعلم أنها رواية، ولكننا نبكي ونضحك دون أن نصفق ودون أن نتحدث عنها بكلمة طيبة! فإذا تحدثنا بكلمة طيبة ففي حين نضحك، وقد كنا في المسرح نصفق ضاحكين عابسين.

نحن نعلم أن هؤلاء يمثلون ويغرقون في الخداع، ولكننا نمضي دون التمثيل ونصفق للممثلين، ونقرأ للشعراء فنطرب إلى أكاذيبهم فلا نلومهم مهما أغرقوا في الأكاذيب، ولكننا نكفر مع ذلك بالحياة، نعيشها ونبحث عن حقائقها فإذا وجدناها سخرنا منها وانصرفنا عنها دون أن نصفق.

لست أدري لم كفرنا بالحياة وآمنا بالتمثيل، ولا لم كفرنا بالناس ولم نكفر بالممثلين، والجمال في الحياة هو الجمال في المسرح وربما أجمل، والبشاعة في الحياة أشد منها في المسرح، والعواطف في الحياة أكثر وضوحاً وأكثر تضخماً وأصدق، ولكننا نصفق للممثلين ونكفر بالحياة ونمدح الممثلين ونلعن الأحياء.

ما الذي يحرك قلوبنا نحو العظمة على المسرح ويعمي أبصارنا عن العظمة في الحياة؟ وما الذي يحرك ألسنتنا بلعن الشقاء في الحياة، ويحرك أيدينا لتصفق للشقاء على المسرح؟ نعم أعلم أننا نصفق للفن لا للشقاء، ولكن من قال إن هذه الحياة تخلو من الفن؟ ومن قال إن هذا الشقاء في حياتنا خال من العظمة؟ حقاً ما أتفه هذه الحياة وما أحقر هؤلاء الناس الذين يحيونها، ولكن من قال إن هذه [illegible] ومن قال إن هذه الصورة البشعة [illegible]؟

[illegible] حياتنا من عظمة ولا تخلو منها هذه التفاهة وكل حقارة، بل نحن نؤمن أحياناً بهذه العظمة فلم لا نؤمن بها دائماً، كما نؤمن بها دائماً على المسرح؟

ذلك لأننا نحن الممثلون في هذه الحياة، ومضطرون إذ نخرج منها دون أن نصفق، ودون أن نتحدث عنها بكلمة طيبة، فهل تحدث الممثلون يوماً وهم على خشبة المسرح بكلمة طيبة عن أدوارهم؟ وهل صفقوا؟ إن فيهم العظمة كما هي فينا، ولكننا صفقنا لهم ولم يصفقوا، صفقنا لأننا نتفرج عليهم، ولم يصفقوا لأنهم لا يتفرجون على أنفسهم..

كل ما في الأمر أننا نمثل ولا نتفرج، ننظر إلى الناس ولا ننظر إلى أنفسنا، نرى الحياة ولا نرى مسرحها، نتحدث بالحوار دون أن نرى ما فيه من فن، نأتي بالعظمة والحقارة دون أن نرى العظمة في العظمة ولا في الحقارة، وهكذا كفرنا بالحياة ولم نصفق!

لا أحسب الممثل يستطيع لو عاش حياته كلها على المسرح ، دون أن يخرج يوماً لينظر إلى مسرحه ويرى مكانه منه ومكان الناس ، سيرى كل شيء بعين جديدة ، ليست عين الممثل الذي يريد ، ولكن عين المشرف الذي ينقد ..

فهل حقاً لا ينقص الناس إلا شيء من الإشراف على الحياة ؟ وهل هم حقاً رأوا كل شيء إلا ذلك الإطار الهائل الذي يضمهم ؟

• • •

رجل فوق الحياة ..

لم تستطع الحياة بكل ما بذلت له من هبات ، وبكل ما زفت إليه من الجمائل ، أن تستل من قلبه شيئاً من الحب ، أو شيئاً من الرضا .

ولم تستطع الحياة بكل ما أسقطت عليه من الأحداث ، وبكل ما رجمته به من الكوارث ، أن تستل من قلبه شيئاً من البغض ، أو شيئاً من السخط .

وربما استطاعت حقاً أن تسلبه كثيراً من الفكر ، وأن تدفعه في طريق طويل من البحث ، [illegible] طريقه بسيل عظيم من المباحث ، [illegible] وكشفت له كل ما تملك من [illegible]

وربما استطاعت أن تجمع له كل جمالها وتكشف له عن أبوابها ، ولكنه لم يحبها ولو شيئاً ضئيلاً من البغض !.

وهب الحياة عقله ، ومضى يبحث فيها عن الحقائق ، واستطاع أن يكشف منها لنفسه شيئاً عظيماً ، واستطاع أن يرى ما فيها من جمال ، وكل ما فيها من دمامة ، ولكنه نظر إلى الجمال وابتسم ، ونظر إلى الدمامة وابتسم ، ولم يحب منها جمالاً ، ولم يكره منها دمامة ..

نظر إلى الناس ، فإذا نفر منهم يسعون نحو قلبه ، يريدون أن يملكوا من حبه كل ما يستطيع هو أن يهبه ، وإذا نفر منهم يسعون جميعاً من قلبه ، يبذلون كل ما استطاعوا بذله ليكسبوا شيئاً من سخطه ؟ فلا تعد قلبه من هؤلاء وأولئك ، وأتى حقه لينظر إليهم فقدّر منهم ما استطاع ، واحتقر منهم ما استطاع .

• • •

لم تقم علاقته مع الحياة والناس على الحب ، أو الكره فقط ، وإنما قامت على التقدير أو الاحتقار ، فهو لا يستطيع أن يحب غير شيء هائل كل ما فيه جمال ، يحب ولا ينتظر هبة ، يوحي بالخلق ، ولا يوحى إليه بشيء ، يحب كل شيء ، ولا يبغض شيئاً .

والحياة لا تستطيع أن تهب كل هذا ؛ فهي حركة ودمدمة ، تهب لتأخذ ، توحي بالخير كما توحي بالشر ، لا تحب أحداً ، ولا تبغض أحداً ، لأنها عمياء صماء ، لا تعدل لأنها لا تفقه ، ولا تسمع ، ولا ترى شيئاً ، وإنما تهب وتمنع كما تريد ، لا كما يريد العدل ..

والناس كالحياة ، فيهم جمال ودمامة ، لا يهبون إلا ليأخذوا ، يتخيرون ويشترون ، يحبون لأنهم محتاجون للحب ، ويكرهون لأنهم محتاجون للكره أيضاً ، فهو لا يستطيع أن يهب الحياة أو الناس شيئاً من حبه ولا من بغضه ، ولكنه يستطيع أن يقدر ويحتقر .

استطاع أن يتقبل كل شيء من الحياة في يسر ، وأن يترك لها كل شيء في يسر ، فهو لم يترك شيئاً من نفسه [illegible] من قلبه فيما تهبه له ، فهو يستطيع أن [illegible] ويعطي ، لا يأسف لفقد أو عطاء ، [illegible] من نفسه .

سيترك الحياة كما أتاها غريباً ، محتفظاً بكل شيء كان له ، ولم يأخذ شيئاً لأنه عاش فوقها يستعير منها ليرد إليها دون أن يتأثر .

يرحم الناس ولا يحبهم ، ويسخر منهم وليس ساخطاً عليهم ، بل هو يرحم الحياة نفسها ويسخر منها ، لأنها لا تعي ولأنها عمياء ، ولأنها مغرورة ، ولقد ساعدها الناس على هذا الغرور ..

رأى الحياة لحناً والناس عازفين ، عزفوا له اللحن جميلاً ولكن متقطعاً .. يقطعونه ويوصلونه وفق هواهم ، ويسعد السامعون باللحن إذا وصل ، ويبكون عليه إذا قطع ، أما هو فيقدر اللحن ولا يبكي عليه ، يقدره إذا عزف ، ولا يبكي عليه إذا قطع ، لأنه كان يقدر اتساق النغم ولكنه لم يحبه !.

جمول أحمد أمين



إنصاف المرأة

تأليف السيدة وداد سكاكيني

للدكتور شوقي ضيف

هذا كتاب طريف في موضوعه وفي طريقة عرضه ، ويعتبر رائعة السيدة الفاضلة وداد سكاكيني دفاعاً عن المرأة عامة ، والمرأة العربية في عصرنا الحديث خاصة .

وقد اصطنعت في تأليفها لهذا الكتاب أسلوب الباحثين المحققين ؛ فهي تستعرض المرأة في العصور المختلفة ، وعند الغربيين والشرقيين ، ومدى ما استكشفوه في تاريخ الحضارة وتاريخ الآداب والفنون . كل ذلك لتدخل إلى دفاعها من أقرب الطرق وأوضحها ، ولتتخذ إليه أمثل السبل وأهداها .

وأنت تواجه فكرة السيدة وداد وغايتها من تأليف كتابها في كل صفحة من صفحات الكتاب ؛ فالرجل يتهم المرأة اتهامات شتى ؛ تارة في مقوماتها العقلية ، وتارة في مقوماتها الخلقية ، يُملي عليه ذلك غرضه ؛ فهو الخصم والحكم . وينسى أن الطبيعة الإنسانية واحدة ، وإن افترقت إلى رجل وامرأة ليتم تكوين الجنس البشري لا ليدعي الرجل لنفسه كل فضيلة عقلية وكل فضيلة خلقية .

وتحتكم المؤلفة في هذه الدعوى إلى فضليات النساء اللائي أثَّرن في تاريخ الإنسانية ، سواء كن من أديبات اليونان ، أو من أديبات فرنسا ، أو من أديبات العرب . والكتاب من هذه الناحية يمكن أن يُعَدّ تاريخاً لما قامت به المرأة في الأجيال المتعاقبة ، وخاصة المرأة العربية الحديثة منذ صرخ قاسم أمين صرخته ، فمزقت حجابها ، وخرجت من خدر دارها إلى ميدان الحياة العلمية والأدبية تحفر بيديها الرقيق سطوراً في العلم والأدب ، ومن هنا كنت تقرأ في هذا الكتاب عن كل ما نهضت به المرأة العربية في عصرنا سواء في مصر أو في فلسطين وسوريا ولبنان والعراق ، وكل ما شاركت فيه من ثورات سياسية أو نهضة اجتماعية . ولن تجد جمعية نسائية في بلدة من بلداننا ، أو لوناً من ألوان التقدم للمرأة في شرقنا قد أهمل ، بل كل عمل يتصل بها ، وكل لون معرفة ، قد سجل ورسم بريشة دقيقة بارعة في التصوير والإخراج .

والسيدة وداد تمتاز بين أديباتنا الحديثات بأسلوب رصين فيه وقار ، وفيه دقة حس ؛ فهي كاتبة متأنية تملك ناصية الكلام ، وتسعى دائماً إلى العبارة الجزلة ترصفها رصفاً . والشعر أنه لا يستعصي عليها في هذا الرصف لفظة ؛ فاللغة العربية طوع لها . وإنها لتعتمد في صياغتها دائماً على لفظة شعرية قديمة ، أو لفظة قرآنية كريمة ، فيتلألأ الأسلوب ويزداد بياناً وإضاءة .

والكتاب مع أنه إنصاف ودفاع عن المرأة ليس فيه عنف ولا حدة ، بل فيه وصف الحقيقة ومحاولة بسط

صحيح المقام دون التجني على أحد . وإنه لكسب للأدب غير قليل أن يخرج هذا النقاش في تلك الصورة المتئدة المتزنة ! لقد عرفت الأسواق الأدبية ألواناً من العنف في عرض الآراء حتى ليخيل إلى الإنسان في كثير من الأحوال أنه يرى معارك شجار لا طرق جدل وحوار .

وكتاب السيدة وداد من هذا الجانب ليس فيه ما ينبو على الأذن أو الذوق ، بل على العكس هو كتاب الأذن والذوق . كتاب الأذن لموسيقى أسلوبه الرصينة ، وكتاب الذوق لهدوء أسلوبه واعتداله . وقد تغلب ناحية الخطابة في بعض جوانبه ، ولكن السيدة الفاضلة مع ذلك تتحدث إليك في أدب ووضوح مبتعدة عن أساليب التفاخر المقيت .

هذا الكتاب إذاً من خير الكتب التي ألفت في قضية المرأة ؛ فقد عرضت فيه هذه القضية مزودة بأدلتها في شكل هادئ ، إذ حاولت صاحبته أن تجادل الرجل بالتي هي أحسن ، وأن ترد عليه اتهاماته للمرأة ، وأن تبين تبياناً تقديراً دقيقاً للدور الذي لعبته ولعبته في البلاد العربية حتى اليوم .

وأنت لن تجد كتاباً أودع فيه بأمانة تاريخ المرأة العربية الحديثة مثل هذا الكتاب ، فهو يبان لكل ما طرقت به في مختلف أوجه النشاط وفي التعليم وغير التعليم . وهذا ما يجعله كتاباً مهماً ، لأنه يؤرخ لنا نهضة المرأة العربية وما كسبت منذ قاسم أمين ، وتتخلل ذلك آراء السيدة وداد فيما ينبغي أن تكون عليه ثقافة المرأة . وقد وقفت كثيراً عند الجانب الروحي ودعت مراراً إلى الاهتمام به . تقول ص ١٠٦ :

« نريد المرأة ثقافة مكينة تنفذ إلى روحها ، فتصقلها وتثير فيها الشوق للخير والإحسان ، ثقافة ترفع مستواها ، وتحفظ شخصيتها ، وتشغل فراغها بما يعود على بيتها ومجتمعها بالخير والفائدة . على أن تشتمل هذه الثقافة المنشودة على ما يشوق الفتاة المعاصرة آفاقاً جديدة ، ويوائم الحاجة الراهنة ، كالفنون الجميلة التي تتفتح فيها مواهب الفتيات من موسيقى وتصوير ، وزخرفة وتطريز ، إلى علم النفس وتربية الطفل وأدب اللغة .

وإذا تشرّبت الطالبة هذه الثقافة بنصيب من ثقافة أجنبية ولم تدعها تطغى على لغة أجدادها ، وتشعر بشعور بلادها ، فإنها تعيش عضوة لقومها ، قريبة من مجتمعها » .

فهي تدعو إلى الثقافة الغيبة ثقافة روحية ، وهي تلح في أن تتلقى المرأة الحديثة بجانب الثقافة الأجنبية الثقافة العربية . والكتاب كله مطبوع بهذا الطابع . فليس فيه ثورة على تراث الآباء ، بل فيه دعوة إلى الانتفاع به ، وأن لا تتنكر المرأة في ثوب شيطان ، بل تظهر في زي ملاك بما تطهّر الدين من نفسها ، وتقوّم من خلقها ، حتى تتآلف مع رجلها وتنسجم في بيتها .

والكتاب إنصاف للمرأة العربية الحديثة ، ودعوة إلى تهذيبها ، ومد الآفاق أمامها في مختلف نواحي العلم والمعرفة دون أن تهمل هذا النور الروحي من التقوى الدافعة إلى الخير والسعادة . ولا تنسى المؤلفة أيضاً هذا الجانب حتى في مواقف الخطابة . واستمع إليها تقول ص ١٤٧ : « لقد مضى اليوم الذي كانت تفرض فيه علينا الإقامة الجبرية ، وأصبح من حقنا أن نتنفس كما يتنفس الرجال ، فالهواء للجميع والشمس للجميع ... وطريقنا إلى المجد النسوي المنشود أن نكون خير الأمهات والزوجات وأخلص المدبرات والمربيات للبيوت والأبناء ، وأرق المجاهدات للعروبة والوطن ، على أن لا نهجم في هذه النهضة هجوم الجائع على القصاع ، فما كل امرأة ينبغي أن تكون رئيسة أو معلمة ، ولا كل سيدة يجب أن تصير طبيبة أو موظفة ، فكل من النساء ميسرة لما خلقت له من أمومة وزعامة ومن تدبير المنزل أو تمرس بالفنون . هذا ما أدعو إليه سيداتنا وفتياتنا في نهضتين الحاضرة ... وإن يحدينا الزهو إذا لم نعتصم بحبل الله » .

والكتاب على هذا النحو فيه اتزان وهدوء ووقار ، وفيه دعوة إلى إصلاح وتهذيب وإرشاد . ونحن نهنئ السيدة وداد بهذا القسم الأول من إنصاف المرأة ، ونأمل أن لا تطول على قرائها فترة إصدارها الحلقات الأخرى من هذا الإنصاف .

شوقي ضيف



الأقمصة

للكاتب التشيكوسلوفاكي كارل كابك

ترجمة الأستاذ محمد فتحي عبد الوهاب

إنه يود لو يفكر في أشياء متعددة ، أشياء أكثر أهمية من ذلك الأمر . ولكن ماذا يفعل وهذا الفكر يثابر على التردد في ذهنه : إن مديرة داره تسرقه .

كانت تقيم معه منذ سنين عديدة ، وكانت [illegible] غرفة عازة [illegible] أو حاجاته الشخصية . فهو [illegible] كل صباح ، فيأخذ قميصاً من [illegible] الذي [illegible] نقي ، مجوهاتكا بين الفينة والفينة فتعرض أمام عينيه قميصاً ممزقاً ، وتخبره أن جميع الأقمصة في هذه الحال ، وأن على السيد أن يشتري جديداً غيرها . حسن جداً ، سيذهب إذاً السيد ويبتاع نصف دستة من الأقمصة ، ولو أنه لم يغب عن باله أنه قد قام بنفس هذا العمل من وقت ليس ببعيد .

وكان هذا شأن الحال مع الياقات وربطات العنق والمنديلات وغيرها من آلاف الأشياء التي لا غنى للرجل عنها ولو كان أرملاً . إن كل شيء لا بد أن يتجدد من آن إلى آخر ، ولكن ... كانت هذه الأشياء تقدم وتبلى في سرعة ، ويعلم الله ما الذي يحدث لها . لقد كان لا يتقطع من شراء حاجات جديدة . ومع ذلك فكان كلما فتح صوان ملابسه لا يواجهه إلا خليط من الملابس الرثة البالية التي لا يدري متى أصبحت هكذا .

أما الآن ، فللمرة الأولى بعد كل هذه السنين ، تتغلغل في ذات نفسه فكرة أن حاجاته تسرق منه بانتظام . لقد تلقى في ذلك الصباح رقعة دعوة إلى مأدبة تقيمها جمعية أو ما شابه ذلك . فظل يبحث عما إذا كان لديه قميص [illegible] . وأخرج الأقمصة من الصوان فلم [illegible] إلا وقد تهرأت ياقته أو في كمه . وتذكر [illegible] ! أليست لديه ملابس لائقة ؟ وظلت رقعتها وصمتت لحظة قبل أن تقول في حدة : إنه لا بد للسيد أن يشتري أقمصة جديدة ، فلا فائدة ترجى من مقاومة ترقيعها الأقمصة القديمة . إنها أشبه ما تكون بخيط العنكبوت .

وامتلكه شعور مبهم بأنه اشترى بعضها من زمن قريب . ولما لم يكن متيقناً من ذلك ، فقد لزم الصمت وشرع يرتدي سترته حتى يذهب ويبتاع غيرها . بيد أنه عندما أخذ يرتب حاجاته ، ويخرج بعض الأوراق القديمة من جيوبه ليرى إذا ما لزم الاحتفاظ بها أو إلقاؤها جيداً ، إذ وجد من بينها كشف حساب الأقمصة الأخيرة ، وقد دفع ثمنها منذ بضعة أسابيع . إذاً فمنذ بضعة أسابيع كان قد اشترى نصف دستة من الأقمصة ! وهذا ما جعله يدرك أن أقمصته تسرق منه .

ولم يذهب ليشتري غيرها . بل جعل يجول في الحجرة مفكراً . ورجع بذاكرته إلى شيء سبق حدث ، تلك التي قضاها وحيداً . فمنذ أن ماتت زوجته ظلت جوهانكا تدير له داره . ولم تساوره فيها مطلقاً أقل شبهة أو خيانة . ولكن ها هو ذا الآن تراوده شعور مؤلم في أن حاجاته كانت تسرق منه طول هذا الوقت . وتلفت حوله . إنه لا يستطيع أن يحصي ما الذي فقده من الأشياء . بيد أنه لاحظ فجأة أن المكان أصبح خاوياً مهجوراً ، مقفراً .

كان هناك شيء لا يستطيع أن يفسره . لماذا تسرق مديرة داره حاجاته ؟ وما الذي تفعله بها ؟ أوه ، إنه يعرف السبب . لقد تذكر فجأة واقتنع تماماً أن ذلك هو السبب ! إن لها ابن أخ تحبه حباً شديداً ، ذلك الحب الذي يستولى على عمة مولعة بابن أخيها . ألم يستمع إلى ثرثرتها وهي تتحدث عنه كزهرة من زهور الشباب ؟ واندفع في غضب شديد ، وهرول إلى المطبخ ، وصاح بجوهانكا : أيتها الشمطاء الشريرة ! ثم كرر زاعقاً وطاردها ... والدموع تترى من عينيها .

ولم يكلمها طوال ذلك اليوم . كانت تتنهد كما لو أنها أهينت . وأخذت تحدث ضوضاء بكل ما يصل إلى يديها من أدوات ، وهي لا تدري سبباً لتهوره . وجعل يرتب ويحصي ما في صوانه وأدراجه ، وكانت في حالة مروعة . وأخذ يتذكر شيئاً ، ثم غيره مما كان يملكه زمناً ما . ها هو ذا لا يجد شيئاً منها . لا شيء . كأنما قد حدث حريق أتى عليها . وشعر بالرغبة في البكاء غيظاً وكمداً .

لو كان قد درى بذلك في حينه لصفعها على وجهها . ما الذي يفعله معها ؟ أيطردها في الحال ؟ أو يسلمها إلى رجال الشرطة ؟ ولكن ، من يقوم بالطهي غداً ؟ فليذهب إلى المطعم . ولكن ، من يقوم بتسخين الماء وإشعال النار ؟ .

وأبعد من ذهنه تلك الاعتبارات وقال : سأنهي هذه المسألة غداً . وأقنع نفسه أنه لا بد أن يتغير الحال . وسخر من فكرة أنه مقيد بها .

وعندما أقبل المساء تمالك زمام نفسه بقدر ما يستطيع ، وذهب إلى المطبخ وقال لها بلا مبالاة : عليك بالذهاب لشراء بعض حاجات لي من الخارج ، ثم زودها بالتعليمات اللازمة للقيام ببعض المهمات المعقدة التي كان من الطبيعي أن يطلبها . وأمرها أن تقوم بإنجازها في الحال . كان قد دبر كل ذلك بدقة . ولم تفه جوهانكا بكلمة ، بل تهيأت حتى تنجز طلباته . وقد بدا عليها جو الشهداء .

وأخيراً انصفق الباب خلفها وتركته وحيداً . وسار إلى المطبخ بقلب واجف ، ثم تردد وقد وضع يده على الرتاج . وتملكه الرعب عندما أدرك أنه لا ينبغي له أن يدفع بنفسه إلى اغتصاب صوانها . إن ذلك من فعل اللصوص . وفي اللحظة التي [illegible] فيها الرتاج إذا به يفتح الباب ويدخل . كان المطبخ [illegible] نظيفاً وقد قام هناك صوان جوهانكا . كان مغلقاً وليس هناك أثر لمفتاح . وزاد ذلك من رغبته في إنجاز الغرض الذي أتى من أجله . وحاول أن يتصيد باب الصوان بسكين ، بيد أنه عجز عن فتحه . وجذب كل درج يبحث عن المفتاح . ثم جرب كل مفتاح من مفاتيحه . وأخيراً ، وبعد نصف ساعة من التعب وجد أن الصوان لم يكن مغلقاً بالمرة . وكان في استطاعته أن يفتحه بأية أداة .

كانت الملابس مطوية في عناية وترتيب على رفوف الصوان ، وشاهد بأعلاها ستة أقمصة من أقمصته لم تزل مربوطة بالشريط الأزرق كما أتت من محل بيعها . وجذب كل شيء من الصوان ووجد جواربه ، ولفافة ، وصندوقاً من الصابون ، وفرشاة أسنانه ، وصدرة حريرية قديمة ، وأكياس وسادته . كانت كل هذه الأشياء في الواقع تخص صوانه . وكان من الجلي أن معظمها يرسل منذ زمن بعيد إلى ابن الأخ . إذاً فهذا

ما يحدث ؟ ... جوهانكا ، جوهانكا ، أأستحق كل ذلك منك ؟

ونقل أشياءه ، الواحد تلو الآخر ، إلى حجرته ، ونشرها على المنضدة . وقلب ما يخص جوهانكا داخل الصوان في المطبخ . كان يود أن يضعه في ترتيبه السابق ، بيد أنه عجز بعد عدة محاولات ، فانسحب تاركاً الصوان منفرجاً . ثم شعر بالخوف ينتابه خشية أن تعود جوهانكا ، فيضطر إلى محادثتها حديثاً خطيراً . وشعر بالاشمئزاز من ذلك ، حتى إنه أخذ يرتدي ملابسه في سرعة وهو يقول : وغداً ، غداً أناقشها الحساب . يكفي اليوم أن تعرف أني اكتشفت الأمر ، وحينما انتهى من ارتداء ثيابه تسلل خارجاً وكأنه اللص ، وظل يتسكع مدة ساعة في الطرقات تحت وابل من المطر حتى حان موعد ذهابه إلى الأوبرا .

ولاحت جوهانكا في خاطره وهو سائر في الطريق بعد عودته من الحفلة ، وتوالت عليه الأفكار وقد أسرع الخطى ، وجعل يرسم خطته . ما الذي يجوز له [illegible] في عمل طويلة قوية ، وارتبطت [illegible] من قبل ، خطبة طويلة من الاتهامات الخطيرة ، [illegible] إليها في الطريق ، فقد تبكي وتتوسل . وقد تستمع إليه في صمت دون أن تنبس شفتاه أو تحرك عواطفه ، فيقول لها في حزم : جوهانكا ، سأمنحك فرصة تفكري فيها عن تكرارك الحيل لتكوني أمينة مخلصة . ولا أطلب شيئاً خلاف ذلك . أنا رجل كهل ، ولا أود أن أكون قاسياً نحوك . وتحمس لذلك تحمساً شديداً حتى إنه لم يشعر إلا وهو داخل داره . كان النور مضاء في حجرة جوهانكا ، واختلس النظر خلال الستار الذي يحجب عنه المطبخ . يا إلهي ! ما هذا ؟ كانت جوهانكا منحنية في أنحاء المطبخ بوجه محتقن متورم من البكاء ، وهي تلف حاجاتها في خشية كبيرة . وارتعب ارتعاباً شديداً ، وزحف إلى حجرته سائراً على أطراف أصابعه ، مرتبكاً ، حائراً ، ساخراً . هل جوهانكا على وشك الرحيل ؟

ورصت أمامه على المنضدة كل الأشياء التي سرقت منه ، ولمسها بأصابعه دون أن يشعر بأقل سرور ، وحدث نفسه قائلاً : لقد فهمت . إن جوهانكا غداً تكتشف معرفتي بأنها مذنبة بارتكابها السرقة . وهي تتوقع أني سأطردها في الحال — وهذا هو سبب جمعها حاجاتها . حسن جداً ، سأتركها على اعتقادها إلى الغد وسيكون ذلك عقاباً رادعاً لها . ثم ، سأتحدث معها صباحاً ، ولكن .. لعلها .. لعلها تأتي إليه الآن طالبة الصفح . ولسوف تجهش بالبكاء ، وتنهمر دموعها أمامه ، وتسقط على ركبتيها وغير ذلك من الأفعال . هذا يكفي يا جوهانكا ، إني لا أود أن أكون فظاً معك . يمكنك أن تظلي بالدار .

وجلس ينتظر الحوادث وقد خيم الصمت عليه ، وعرفت الدار به . كان يسمع كل خطوة تخطوها جوهانكا بالمطبخ ، وصوت الصناديق غطاء الخشبية في شدة ، ثم أعقب ذلك السكون . ما هذا ؟ وهب منزعجاً . لقد تناهى إلى سمعه عويل طويل مرعب ، كما لو أنه صادر من مخلوق لا ينتمي إلى البشر ، ثم أعقب العويل سلسلة من النشجات الهستيرية . كانت جوهانكا تبكي . وكان في الواقع مستعداً لكل شيء إلا هذا . وهب واقفاً بقلب واجف ، وأصغى إلى ما يحدث بالمطبخ ، فلم يسمع إلا نشجات البكاء . عما قريب تأتيك جوهانكا روعها وتطلب منه الصفح . وجعل يذرع الحجرة حتى يستعيد حزمه . ومع ذلك لم تحضر جوهانكا . وكان يقف من آن إلى آخر ويتسمع . لقد تحول عويلها إلى سلسلة من العواء الرتيب الممل . وأصبح بأسها في نظره كرباً . وعزم على الذهاب إليها . لن يقول لها إلا « فليكن هذا درساً لك يا جوهانكا . فكفي إذاً عن البكاء . سأنسى ما حدث على أن تكوني أمينة في المستقبل » .

وبغتة سمع جلبة عنيفة ، وفتح الباب في شدة ، واندفعت جوهانكا منه ، ثم وقفت بجواره تعوي . كم راعه رؤية وجهها المتورم من البكاء ، وظل قائلاً : جوهانكا .

وخرجت الكلمات من فيها متقطعة: هل ... أنا ... أستحق ذلك؟ شكراً جزيلاً لهذا .. كما لو أني لصة .. يا للعار!.

فصاح في انزعاج: ولكن يا جوهانكا. ولكن .. لقد استوليت على حاجاتي .. كل هذا .. ألم تستولي عليها؟.

قالت وكأنها لم تستمع إليه: مثل هذا العار .. تبحث في صواني .. كما لو كنت .. مجرد لصة. تعني أنا .. حقاً كان يجب ألا تفعل ذلك يا سيدي .. لا حق لك في إهانتي مطلقاً حتى يوم مماتي .. لم أكن أتوقع ذلك منك. هل أنا سارقة حقاً؟.

وجعلت تصرخ وتقول: ألم تفكر في حالتي؟ فأنا لم أكن أتوقعه منك.

فقال وقد تصبب عرقاً: ولكن يا جوهانكا تعقلي. كيف أتت هذه الأشياء إلى صوانك؟ أتضحك أم تحنقي؟.

وتشنجت جوهانكا وهي تقول: لا .. لا لم أسرق شيئاً .. يا إلهي .. أي عار!.

ثم قالت في صوت خفيف: ولكن .. حالاً .. في هذه الآونة .. في الحال .. لن أمكث حتى الصباح.

فقفز في انزعاج قائلاً: ولكن، اهدئي. إني لا أود أن أتخلى عنك. ستظلين. أما ما حدث، فحسن فليعف الله عن سيئاتنا. إني لم أقل لك شيئاً حتى الآن. فكفي إذاً عن البكاء.

وقالت جوهانكا وهي تختنق بالدمع: إبحث عن واحدة أخرى غيري، فلن أظل هنا حتى الغد .. كما لو كان المرء كلباً .. إني أرفض.

ثم هتفت تقول في يأس: لن يكون ذلك حتى لو دفعت لي الآلاف. إني أفضل أن ألقي بنفسي في الإفريز.

جادلها قائلاً: ولكن لماذا يا جوهانكا؟ هل جرحت شعورك؟ ومع ذلك، فلا يمكنك أن تنكري.

فقاطعته صائحة في صوت لا يزال جريحاً من الألم: كلا .. لم تجرح شعوري؟ أليس هذا يجرح شعور .. بحثك في الصوان كما لو كنت لصة .. إنه لا شيء مطلقاً .. لم يسبق لأحد أن فعل مثلما فعلت .. يا للعار!

وجعلت تصرخ وقد انهمرت الدموع من عينيها، ثم اندفعت خارجة، وصفقت الباب خلفها في شدة.

ووقف داهلا مشدوهاً، قبيلاً من الندم، يأتي هذا المشهد. ماذا يعني ذلك؟ إنها تسرق كالغراب، ولا شك في هذا، وتشعر بالإهانة لأني عرفت سرقتها. وهي لا تخجل من كونها لصة، بل تشعر بأنها أهينت في قسوة. هل هي مختلة الشعور؟.

ولكنه أصبح يغمره شعور من الأسف عليها أخذ يزداد شيئاً فشيئاً، وقال لنفسه: «إن لكل شخص نقطة ضعف في ذاته. وأشد ما يجرح شعوره ويهينه أن تضع يدك على هذه النقطة. آه! ما أكثر ما يشعر الإنسان من الخجل حين تضع إصبعك على رذيلته الخفية، ولا يشعر إلا بصيحة الألم والسخط إجابة لما حدث».

وأقبل من المطبخ صوت بكاء مكتوم، وود لو يدخل إليها. ولكن. كان الباب موصداً. ووقف هناك يحاول أن يجعلها تكف عن صوت التشكي والنشيج، وأن يواسيها ثم يهدئ روعها. ولكن كان ردها عليه ازدياد بكائها. وعاد إلى حجرته مهموماً وقد غمرته شفقة جارفة. وألقى نظرة إلى المنضدة وقد حفلت بالأشياء المسروقة. ومر بإصبعه عليها في لطف. بيد أنه شعر كما لو أن في النفس شيئاً ينتسب إلى الحزن واليأس ...

محمد فتحي عبد الوهاب



صدى بريد الثقافة

فنان محزون

هل قدر للفن والفنانين في مصر أن يعيشوا مطرودين حيارى ، يبحثون عن أعشار نافعة متأملة ، ويصارعون برهفة متذوقة ، فيجودون بالحياة الشقة والإملاق المرير ؟! وهل كانت الفنون والآداب من التفاهة بحيث يعرف عنها الأدباء وذوو النفوذ ... فلا يجودون عليها بشيء من الرعاية والاحتضان ؟ إن مما لا ريب فيه أن الفنون رموز لمجد الأمم وعبقريتها ، ومقياس لنظمها وسيرها في مدارج الكمال .. فليت شعري ما يكون مصير بلاد تغفل الأصالة الفنية وتحيل على مروجها الفاقة والنحل والتهريج ؟

في هذه العجالة سأحاول أن أروي للقراء قصة فنان عراقي مرموق ، وفد إلى مصر .. ليعرض جهوده السنين ، وزهرة العمر ، وعصارة الفكر والأعصاب ، آملاً أن يلقى شيئاً من التقدير والتأييد ، جاء وكله أمل .. وعاد وكله ...

هو السيد يوسف محمود غلام ، ... والمهندس العمل للفنون العربية الأندلسية ... يمارس الرسوم والكتابات الأندلسية منذ عشر سنوات .

واستوعب الكثير مما كتب وصور في هذا الصدد ، ثم خطا خطوة عملية جريئة حين أقام داراً خاصة زينها بالرسوم والنقوش الأندلسية البديعة ، فأخرج للجماهير تحفة فنية رائعة يحق للعرب أن يباهوا بها وبصاحبها الفنان العظيم ، غير أنها بيعت تحت ظروف قاسية ، فكان هذا البيع محنة كبرى ، لأن حضرة المشترى الهمام طمس النقوش الأندلسية الجميلة ليحل محلها طلاء ممقوتاً ... !!

لم يعرف اليأس سبيلاً إلى قلب ذلك الفنان المثابر ، فرحل إلى أسبانيا ليدرس الآثار الأندلسية عن كثب ، وقضى هناك أربعة أشهر ، شهد خلالها كثيراً من تلك الآثار الباقية على الزمن ، والتقط طائفة كبيرة من الصور ، ولم يفته أن يشترى مجموعة أخرى من الصور النادرة التي تسجل ثورة الفن في أعظم المظاهر .

وقد أقام معرضه الأول في كلية الآداب ببغداد ، فكان حظه من التوفيق والنجاح خطيراً ، وقد قال لي إن عدداً كبيراً من فناني العراق ، وألوف المشاهدين المثقفين ، كانوا يحضرونه كل يوم بالإعجاب والتقدير والتشجيع ، مما أنعش فيه الأمل وبعث الاغتباط .

وأقام المعرض الثاني في مدينة الإسكندرية بكلية الآداب أيضاً في أثناء انعقاد المؤتمر الثقافي العربي الثاني ، فلم يلتفت إليه إلا عدد قليل ، وهذا شيء يؤسف له حقاً !! وحضر إلى القاهرة علّه ينال ما يطمح إليه وما يستحقه ، فلم يكن نصيبه هنا أكثر من نصيبه في الإسكندرية !! وشد ما تألمت وهو يقول لي : أين الفنانون المصريون ؟ أين الأدباء والشعراء والمؤرخون ؟ أين الصحفيون ؟ أين تلاميذ مدرسة الفنون ؟

والواقع أن أديباً مصرياً واحداً هو الذي اهتم الاهتمام اللائق بهذا الفنان البارع ، هو الأستاذ عباس خضر المحرر الأدبي لمجلة الرسالة الغراء ، وكم للأستاذ من لفتات تذكر فتشكر ...

والمعرض يحتوي على ٢٥٠ قطعة ، بعضها من الصور والرسوم المختلفة ، والبعض الآخر قطع من الخشب والجبس تحمل أجمل الصور والدقائق العربية ، ومن بين هذه المعروضات صورة لمئذنة جامع قرطبة ، وجوانب من قصر الحمراء ، وواجهة من قاعة عيسى للسكة إزابلا ، والنافورات وبهو الأسود ، والبساتين ، وامرأة أسبانية من جزر كنارية ، وفتاة عروسة أسبانية ، وفتاة أشبيلية في ملابس الأعياد الوطنية ، ونعش كرستوف كولمبس محمولاً على أكتاف أربعة من ملوك الأسبان تقديراً لخدماته ، ومما يذكر أن بعض الصور كانت مسحورة بأبيات من الشعر الأندلسي ونصوص من التاريخ .

أما بعد ، فإن من المحزن أن يعود هذا الفنان المكافح إلى وطنه دون أن يظفر بما ينبغي لمثله من التشجيع مادي وأدبي ، وإذا كنا لا نقدر الفنون والآداب فكيف نسيغ غروض الجامعة نحو شعب عزيز من أبناء العراق الشقيق ؟! وأودع الفنان يختم القصة الدامية : « سأعود إلى موطني بغداد ، هنا أنا وعملي ، وبين يدي ، من الألم المشبوب والأمل الخابي ، وعزائي الوحيد أني أديت واجبي ، وما أقل الذين يؤدون واجباتهم في هذا الزمان ... » .

أحمد محمود مصطفى

مجنونة ...

ومجنونة تذرع الأرض طولاً
وعرضاً ، وقد عربت بالسباب
توجه لغواً إلى غير شيء
كأن بها مسة من عذاب
وتبكي بدمع طليق غزير
يهيل على النفس كل اكتئاب
وفي وجهها من شجون الحياة
حشودٌ تبدتْ بغير حجاب
أراها من الثكل ضاعت مُناها
فما وجدت حانياً في اقتراب
سوى قهقهات المقادير هزءاً
بهذا الذي دفنت في التراب
وإغضاء ركب الحياة كأن لم
يكن فيه زين الدنا والشباب
كذا الزهر يفتق حتى إذا ما
عراه الضنى ذبل فوق الشعاب
فيا للحياة تغذى حتى
إذا طويت ذهبت كالسراب
سوى ذكرياتٍ بقلبٍ صبورٍ
لها أجلٌ مودعٌ في الكتاب
فيا أمُّ ويحك لا الحزن يجدى
ولا ولولاتك بعد الغياب
لتبقى الحياة فأولاك صدراً
وغدر الحياة كغدر الكعاب
وما دام بينك والموت إلفٌ
فصبراً على ما لقيت من عقاب
تسوق وراءك ألفَ لسان
تضجُّ ، وتوغل في الاصطخاب
فإما رجعتِ إليها ففازت
وإما تهاويت دون المآب

•••

ويا نيل لازلتَ تمضى سعيداً
تحيي الشفاف تثيب الحباب
وتنظر في الشاطئين رسوما
لها الدهر يحجب كل العجاب
جمالك يا نيل فوق الجمال
وجدك يا نيل فوق السحاب
فهلا بصرت بهذا العذاب
تعانيه أمٌّ بليل الغياب
على مدمع الحب ألقت عصاها
وقالت : بُنى له كل مسابي
فأين حنانك يا نيل يأسو
جنون الجراح ، وفقد الرغاب
وفيم تضيك دنيا الشجون
وأعلوك تحت الأسى والعذاب
أكل تذبت إليهم بقلب
شفيق ، فزل كزيال الكذاب

أحمد محمود عرفه

في الأصفاد...

توهمت أني في الهوى بك أنعم ... وكم قد للعشاق أن يتوهموا
وأهلك — آه — ليت أهلك كلهم ... يلاقون مالاقيت فيك فيرحموا!
رأوا أن مثلي في خصاصة عيشه ... كثيرٌ عليه نيلُ مثلك منهمو...
فإنك في ظل الثراء مقيمة ... وإني — على فرط اجتهادي — معدم
يعدون بؤسي — يا سعاد — جريمة ... فإني محدودٌ لديهم ومجرم..
ولم يكفهم أني أهش إلى الندى ... وأنثر درّاً من بياني وأنظم
وما بين قلبينا من الود طلسم ... وإن لم يفه منا به متكلم
تقاليد.. لا نقوى على رد حكمها ... ولكنها قيد يجور ويظلم
فيالك من نجم نعمت بوصله ... إذا هبطت يوماً إلى الأرض أنجم
وأنى؟ وأنى النجم لست أناله ... بلى... إني أرعاه والليل مظلم
يعز على قلبي سهادك في الدجى ... وأهلك في ظل المقاصير نوّم
فلا رحم الرحمن أهلك كلهمُ ... وكانت لهم مثوى ذليلاً جهنم
همو أسلموا قلبين للهمّ والأسى ... وشكوى جراح ما لها الدهر بلسم
وحسبك أني لا أطيف بريبة ... وأنك أسمى في العفاف وأكرم
وإني — على ما كان من سورة الهوى — ... أمرّ على دار الهوى ... فأسلم

محمد علي مخلوف

أشلاء...

[في رحلة إلى الريف...]

قالوا: «شموس الريف وضاءة ... ونسيم الحقل همس جميل»
«كم ينعش القلب بأرجائه ... تمايلُ النخل وسحر الأصيل»
«وعذراؤه تمرح رقراقة ... تحت لحون من بنات الهديل»
قالوا، وقالوا، ثم قد أزمعوا ... أصيف «أوربا» سريع الرحيل!
فهل دروا أن بآفاقه ... عيّاً على الويلات عندَ ذليل؟
ثيابه الأسمالُ .. يا ويحه ... وكوخه بين البلى... طلولٌ!
وقوته.. المرّ.. على صبره ... وعوده مما يلاقي.. هزيل!

محمد عواد مصطفى

وزارة الزراعة

تقبل العطاءات بمكتب مدير إدارة المخازن والمشتريات بالدقي لغاية الساعة ١٢ ظهراً عن الآتي:

١ — توريد لحم بساني لقسم تربية الحيوان والدواجن يوم ٢١ / ١٠ / ١٩٥٠.

٢ — عملية التطهيرات الشتوية بتفاتيش سخا، ومحلة موسى، والسرو يوم ٤ / ١١ / ١٩٥٠.

ويمكن الحصول على الشروط مقابل دفع مبلغ ٢٠٠ مليم عن الأولى و٣٠٠ مليم لكل من العمليات الثلاث في البند الثاني بخلاف ٥٠ مليماً أجرة البريد لكل منها، وتقدم الطلبات على ورقة دمغة من فئة الثلاثين مليماً. ٦٦٤٩

إعلان عن مسابقات مجمع فؤاد الأول للغة العربية

لتشجيع الإنتاج الأدبي سنة ١٩٥١ – ١٩٥٢

قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية توزيع جوائزه لتشجيع الإنتاج الأدبي على النحو الآتي :

أولاً : تخصص مائتا جنيه لكل فرع من الفروع الآتية على أن يكون المتسابق من أدباء وادي النيل وحدهم .

(ا) أحسن ديوان شعري لا يقل عن ألف بيت في الشعر الوصفي ، أو القصصي ، أو فيهما معاً .

(ب) أحسن بحث مستوفى مبتكر يسير على النهج العلمي الحديث في أحمد فارس الشدياق وأثره في اللغة والأدب ، وفي وضع المصطلحات الحديثة ، أو في الشيخ حسين المرصفي من حيث حياته وتآليفه ، وأثره في النهضة الأدبية الحديثة ، على ألا يقل عدد صفحات كل من هذين البحثين عن مائتي صفحة من القطع المتوسط الذي لا تنقص كلمات الصفحة فيه عن مائة وثمانين كلمة .

(ج) أحسن تحقيق علمي على النمط الحديث لكتاب عربي قديم قيم في اللغة أو الأدب لم ينشر من قبل — على أن تقدم له مقدمة علمية في قيمة الكتاب والتعريف بمؤلفه ونسخه التي روجعت لذلك .

ويقدم هذا التحقيق للجنة مطبوعاً أو معداً للنشر .

ثانياً : تخصص لأدباء وادي النيل وغيره جائزة قدرها مائتا جنيه لمن يقدم أحسن قصة تعالج مشكلة اجتماعية شرقية باللغة العربية الفصحى ، بحيث لا يقل عدد صفحاتها عن مائة وخمسين صفحة من القطع المتوسط الذي لا تنقص كلمات الصفحة منه عن مائة وثمانين كلمة .

* * *

وعلى الراغبين في الحصول على هذه الجوائز أن يرسلوا إلى المجمع أربع نسخ مطبوعة أو مكتوبة على الآلة الكاتبة كتابة واضحة من الموضوع المقدم للحصول على الجائزة قبل أول أكتوبر سنة ١٩٥١ .

وللمتبارين أن يذكروا أسماءهم أو يختاروا أسماء مستعارة ، وعليهم أن يكتبوا عنواناتهم واضحة ، وأن يوقعوا على كل نسخة يقدمونها .

ولا يجوز أن يدخل مسابقات المجمع الأدبية من سبق أن أجازه المجمع على إنتاج له في فرع المسابقة المتقدم إليه ، ولا أن يعاد تقديم أي إنتاج أدبي سبق أن قدم للمجمع ، أو لأية مباراة عامة أخرى ، أو لمناقشة عامة للحصول على لقب أو درجة علمية .

ويشترط في مسابقة تحقيق كتاب قديم ألا يكون قد نشر قبل أكتوبر سنة ١٩٥٠ ، ويشترط في غيره من الموضوعات ألا يكون قد طبع قبل سنة ١٩٤٦ ، ويحتفظ المجمع بنسخة من كل ما يقدم إليه من الإنتاج الفائز وغيره . وترسل الموضوعات بعنوان لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية شارع القصر العيني ١١٠ — القاهرة .

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر